وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم الفلسفة

العنوان :

الأنا المفكر عند ديكارت

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبة :
شمارة خولة ايمان

إشراف الدكتور:
طحطاح مبروك

الموسم الجامعي :
2022/2021م
1444/1443هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

"ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ...."صدق الله العظيم

المجادة الآية 11

شكر وعرفان

يغتنم الإنسان في هذه الحياة أجمل ذكرى وينتظر أجمل فرصة لتنظيم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلا من كانت له قدم السبق في ركب العلم والتعليم

إذ قلت لكم شكرا فشكري لن يوفيكم حق سعيكم من أجلنا وكان السعي مشكورا

وأخص بالذكر أستاذي المشرف والموقر الدكتور "طحطاح مبروك " كنت شمعة أنارت الغموض وحيرتي بتوجيهاتك القيمة .

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان الى أساتذة قسم الفلسفة وأخص بالذكر اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل فهم أهل لسد خلله على رأسهم الأستاذ "طيبي المولود" فلكم كل الشكر والإعتزاز

شكرا لكل من علمني ومن أزال غيمة جهل مررت بها

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا العمل قارئه وأن يقبل في ميزان الحسنات .

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمر الجهد بفضله تعالى مهداة الى :

من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها ولا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلها ، الى من كان دعائها سر نجاحي اليك ليغمر الفخر عينيك

أمي الغالية

الى من كلله الله بالهيبة والوقار ، الى من علمني العطاء بدون انتظار ... الى من أحمل أسمه بكل إفتخار . أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار . شكر على كل شيء يا كل شيء

والدي العزيز

إليكم يا أجمل لوحة أمل لي كانت وما زالت أهديكم هذه الرسالة التي ما خرجت إلا من بين أياديكم

إخوتي عيسى ـ أسامة ـ صلاح ـ أنس

أخواتي نور الهدى ـ ياسمين ـ إحسان

الى أخي الذي لم تلده أمي عبد القادر

الى عصافير الأسرة وسر بسمتها أحمد ـ أشرف ـ شهاب

الى من سرنا معا لقطف ثمار النجاح "صديقاتي "

الى كل عائلة شمارة والرخاء

خولة ايمان

مقدمـــــة

مقدمة

يتفق الجميع على أن الفلسفة الحديثة بدأت مع ديكارت ، ذلك أنه عمد على نوع من الحرية والاستقلالية الفكرية من خلال الخروج عن مختلف القيود والروابط الوسيطية التي صاغتها وأوجدتها الكنيسة . فكان بذلك قد حرر نفسه وفكره من ذلك العصر اللاهوتي الذي كان سائدا . وأصر على أن يفكر لنفسه أكثر من مجرد قبول ما تعلمه فحسب ، وبهذه الطريقة اعتقد أن بإمكانه أن يؤسس القواعد والأسس الفلسفية والرياضية لجميع المعارف البشرية ، وبهذا يكفي الإقرار بأن بداياته هي بداية عصر الحداثة وهو بذلك يستحق لقب أبو الفلسفة الحديثة . كما لا ننسى أنه المؤسس الأول للمذهب العقلي ذلك أنه أعاد للعقل اعتباره بوصفه مصدرا للمعرفة الوحيد وصاحب الحق في قبول أو رفض أي أمر أو فكرة تعرض عليه ، الى جانب ابتكار منهج جديد قادر على صيانة العقل وحفظه من الأخطاء أو الأغاليط . فكان بذلك منهجه هو البصمة الايجابية التي إستطاع من خلالها ديكارت أن يحل كل معضلة صادفته في مسيرته الفكرية . ولعل أبرز انجازاته على الإطلاق هو أنه صاحب المقولة الشهيرة **" أنا أفكر إذن أنا موجود "** والتي عبر عنها بالكوجيتو ، هذه العبارة الحدسية البسيطة هي أول مبدأ في نظريته الميتافيزيقية التي وضعها ؛ أي نظريته لما يجب أن يعرف حتى يمكن أن يوجد أي علم ثابت .

ومن الملاحظ أن ديكارت بعد وضعه للكوجيتو في بؤرة التفكير الفلسفي قد أحدث تحولا هاما في مسار التطور الفكري الى يومنا هذا ، فبمجيء ديكارت أصبح التفكير العقلي الواضح مؤشرا طيبا ينبئ عن حقيقة الوجود ، حيث أصبحت كلمة الوجود لا تعني فقط الوجود الكوني الذي نلتقي به في الطبيعة وفي الأشياء المادية بل أصبحت تدل أيضا على وجود الإنسان ووجود التفكير العقلي عند هذا الإنسان وهذا ما رسمت ملامح نظريته الأولى التي أدل عليها بالكوجيتو **" أنا أفكر إذن أنا موجود "** . لهذا استلهم الموضوع

إعجابنا . إن بحثنا هذا في فلسفة ديكارت تحديدا في مبدأه الميتافيزيقي الأول، هو تجربة بحثية الأولى لنا في هذا المجال . ونعده إسهاما متواضعا يضاف الى جملة البحوث والدراسات التي اهتمت بالفلسفة الديكارتية . ومن بين الأسباب التي دفعتنا الى دراسته والبحث فيه ، منها المرتبطة بالميولات الذاتية ومنها المتعلقة بالموضوع ، تمثلت الدوافع الذاتية في ميولنا ورغبتنا في دراسة شخصية ديكارت الرجل الذي قال عنه الباحثون أنه المعبر الأساسي والأوضح عن كل تحولات عصره .إضافة الى فضولنا العلمي في دراسة موضوع الكوجيتو الذي عبر عنه صاحبه بأنه عبارة عن رحلة روحية يدعو فيه القارئ الى الانضمام إليه ولطالما وعد ديكارت بأن هذه الرحلة سيكون لها نتائجا غير عادية.

أما الدوافع الموضوعية فتعود لمدى الأهمية التي توصل إليها الكوجيتو الديكارتي في الفكر الفلسفي ، كجانب مهم طغى على التفلسف الى يومنا هذا . كما تعددت فيه الكتابات مما يسهل علينا العمل نظرا لتوفر المراجع والمصادر المترجمة الى العربية .

وتظهر أهمية البحث كون فلسفة ديكارت هي فلسفة العقل الذي يفتح للإنسان آفاق المعرفة والعلم ، ويغزو بنوره عالم السماء والأرض فإذا أحسن المرء استعماله إستطاع أن يسخره لخدمة الإنسانية وإسعادها ، حيث يعتبر الكوجيتو لمحة من لمحات الفكر الواعي إذ يعتبر نظرة ذهنية أراد من خلالها ديكارت أن يبلغ اليقين التام والذي يزول معه كل شك .

لذا كانت أهداف الدراسة متمثلة في إظهار قيمة ما توصل إليه ديكارت من نتائج من خلال الكوجيتو في حقل المعرفة البشرية ، تقديم إضافة في البحث العلمي إضافة الى إزالة الغموض وإثراء الرصيد الفكري .

وفي هذا السياق حري بنا الإشارة الى الدراسات السابقة ، فالعديد من الأبحاث تناولت الفلسفة الديكارتية نظرا لتعدد مطالبها ومجالاتها . والكثير من الأطروحات الفلسفية

الغربية التي جاءت بعده ، هي انعكاسات لأطروحته والتي لا زالت تدرس حتى اليوم .

وقد كتبت في أوروبا وفي الغرب وحتى مع مفكري العرب مقالات كثيرة لا تعد ولا تحصى حول ديكارت .

وفي بحثنا هذا نحاول تقديم المفيد حتى يتسنى لنا إبراز بصمتنا في هذا الموضوع بالذات ولكي نفهم عبارة "أنا أفكر إذن أنا موجود " التي قدمها لنا ديكارت على وجهها الصحيح نطرح الإشكال التالي **ما حقيقة الأنا المفكر ؟**

وهذه الإشكالية تتفرع للمشكلات التالية :

ـ كيف أثبت ديكارت الأنا المفكر ؟

ـ ما طبيعة هذا الأنا الذي عثر عليه ؟

ـ ماذا يترتب عن إكتشافه ؟

وللإجابة على كل تلك الأسئلة إهتدينا الى الخطة التالية :تضمنت مقدمة ثلاث فصول كل فصل يحتوي على مبحثين إضافة الى مدخل بسيط وخاتمة في كل فصل وخاتمة شاملة للإحاطة بالموضوع .

في الفصل الأول تناولناه تحت عنوان ديكارت أطوار حياته الفكرية والعملية ، عالجنا في المبحث الأول سيرة موجزة لحياة ديكارت من نشأته الى غاية وفاته ، أما المبحث الثاني فتحدثنا عن أهم أعماله ومؤلفاته .

أما الفصل الثاني فتناولناه تحت عنوان الطريق الى الانا المفكر ، في المبحث الأول عالجنا عدة مواضيع لعل من أهمها ضرورة المنهج عند الفيلسوف ثم قواعده وأسسه وصولا الى طبيعة الشك عند ديكارت وبعدها سنرى كيف وضع منهجه الشكي المأمون منه الوصول من الشك الى اليقين وليس فقط الشك من أجل الشك ، أما المبحث الثاني سوف نرى كيف شرع ديكارت في تطبيق منهجه على نفسه وكيف رست سفينة أفكاره على شاطئ اليقين بعدما تلاطمتها أمواج الشك العاتية .

وفي الفصل الثالث والأخير ناقشناه تحت عنوان نتائج الأنا المفكر ، سوف نرى في المبحثين كيف استطاع ديكارت أن يخرج من عزلة الأنا الي إثبات موجودات أخرى (الله العالم الخارجي) .

ولتجسيد هذه الخطة كان لابد لنا الاعتماد على منهج للدراسة يتلائم مع طبيعة الموضوع واستخدمنا المنهج التحليلي .

وقبل الشروع في البحث تفصيلا نتمنى أن يكون بحثنا هذا قد وفى حقه من الفهم وقلل في درجة الغموض ، ونحمد الله عز وجل على ما قدره لنا من توفير الأسباب والظروف من أجل إتمامه .

الفصل الأول

ديكارت أطوار حياته الفكرية وأعماله

المبحث الأول : حياته الفكرية

المبحث الثاني : أعماله

الفصل الاول : ديكارت أطوار حياته الفكرية وأعماله

- ليس من المستطاع أن نفهم النظريات الفلسفية فهما واضحا ومتميزا من غير أن نلم بالتاريخ العقلي للذين ساهموا في تكوينها . وعليه فإن التاريخ العقلي لأي فيلسوف هو جزء من تاريخ حياته فمن المفيد أن نستعين على فهم ديكارت بالوقوف على موجز لتاريخ حياته ومدى تفرغه لتحقيق مقاصده والتي تنحصر في البحث عن منتهى ما يستطيع أن يصل إليه العقل من أشرف المعارف وأنفعها للإنسان .

المبحث الاول : حياته الفكرية

حياته ونشأته

- ولد رينيه *ديكارت أبو الفلسفة الحديثة في 31 مارس سنة 1596 في مدينة لاهاي ينتمي الى سلالة فرنسية برجوازية عرفت بنبلها وعلو منزلتها في طول البلاد وعرضها . إذ كان أبوه يواقيم ديكارت مستشارا في برلمان إقليم بريطانيا ، وكان جده من جهة أبوه طبيبا أما جده من جهة أمه فقد كان حاكما لبواتيه . قضى الفيلسوف سن الطفولة في لاهاي مسقط رأسه حيث عنيت تربيته جدته إذ أن أمه ماتت بعد ولادته بنحو عام ، وانتقل بعد ذلك أبوه مع والديه وشقيقي الفيلسوف الى بريطانيا وهناك بدأت حياته المدرسية الاولى [1].

ويمكن تقسيم مراحل حياة ديكارت على النحو التالية :

*كان ديكارت ضعيف البنية . لكنه أظهر في عهد طفولته ذكاءا نادرا ومواهب ملحوظة فكان أبوه يسميه"الفيلسوف الصغير " لشدة ميله الى التروي والإمعان في الفكر ولكثرة الأسئلة التي كان يوجهها لمن حوله (كتاب أمل مبروك .الفلسفة الحديثة صفحة71)

1- رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمد الخضيري ، الطبعة3 ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 صفحة من 77الى 79(بتصرف)

المرحلة الأولى: (حياته المدرسية الاولى)

يصاب الباحث بخيبة أمل كبيرة عندما يحاول ذكر وقائع دقيقة خاصة بهذا الفيلسوف العبقري والحكيم ، نظرا لوجود إختلاف بصدد ميعاد تاريخ دخوله المدرسة لأول مرة

فنلاحظ أن مؤرخه بابيه يشير الى أنه دخل *مدرسة لافلاش للآباء الياسوعيين في نيسان عام 1604م أي بعد شهر قلائل من إفتتاح تلك المدرسة الياسوعية ولكن الدقة التاريخية تجعل أحدث مؤرخي ديكارت يسجلون دخوله المدرسة كان عام 1606م ومما يدعم هذا الرأي أن خروجه من المدرسة كان عام 1614على وجه التأكيد .ولم يكن من المقبول أن يبقى بها أكثر من ثماني سنوات [1].

يحدثنا ديكارت نفسه بصراحة ووضوح عن الدراسة والبرنامج العلمي ومدى إفادته من تلك المدرسة الإبتدائية في كتابه مقال عن المنهج حيث تلقى تعليمه هناك في مرحلتين :

الأولى: أدبية لغوية وهي دراسة كتب اليونان والرومان القدامى في لغتهم الأصلية.
و**الثانية:** هي مرحلة الدراسة العقلية البحتة والتي تقوم على مواد الفلسفة وأقليتها في العلم الرياضي .

أي أنه درس في مرحلته الأولى عن اليونان والرومان وتاريخهم ، وامتاز هذا التدريس بتوجيه الطلاب نحو الأسلوب اللازم في التعبير الشفوي وفي الكتابة وبتوجيه عقولهم وخلقهم وطبائعهم وسلوكهم الخارجي الى الأفضل والأمثل . وبهذا يكون المبدأ الأعلى كما يراه الياسوعيين ، هو إتحاد العظمة بالنظام والقوة بقواعد العقل أما من الناحية المعنوية فكان قصدهم تربية النفس وتدريبها على الشجاعة والطاعة وحسن الإنقياد باعتبار أبطال

*مدرسة لافلاش :اسسها الياسوعيون عام 1603وكان ملك فرنسا هنري الرابع قد وهبهم دارا لها فأطلقو عليها اسم "المدرسة الملكية "وعني الياسوعيون بأمور التعليم فيها وإختارو لها خيرة الرؤساء والمدرسين في أوروبا وأنها خير مكان تتعلم فيه الفلسفة(كتاب امل مبروك ,الفلسفة الحديثة ,صفحة 71)

1-د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، دار مكتبة الهلال ، بيروت (لبنان) 1989،صفحة 15- 14

اليونان والرومان نماذج واضحة لها. ثم ينتقل بعدها الى المرحلة الثانية التي تستمر سنتين في الأولى المنطق مع الرياضيات وفي الثانية الأخلاق مع الطبيعة.

إعترف ديكارت بالقدرة النظرية للعلم الرياضي الذي رشفه عن الياسوعيين ، حيث درس الأمور الرياضية على أفضل معلميها ، وطالع وإياهم كتاب فلاكيوس الياسوعي وهو عمدة الجبر في ذلك العصر.

تعطنا إشارات ديكارت الى تلك الدراسة على أن إلمامه بالعلوم الرياضية كان كافيا وافيا و اكتمل فوق ذلك بتطبيقات عملية سواء في مساحة الأرض أو في الصناعات الميكانيكية المعروفة ، أما في ميدان الأخلاق فيبدو أن الدروس إقتصرت على مطالعات بليغة مختارة من كتب الرواقيين .[1]

- ومما لابد لنا الاشارة له أن المدرسة الياسوعية لم تفرض على تلاميذها ضرورة الأخذ بمحتوى مصنفات الفلسفة التي درست لهم كفلسفة أرسطو وتوما الإكويني بل إكتفوا بالمذهب الأرسطي وتأويله الى بعض معاني فلسفية رئيسية ، كمعاني الجوهر والصورة والمادة والطبيعة .

ونشير الى النقد السريع الذي وجهه ديكارت في كتابه مقال عن المنهج للفلسفة التي تعلمها حيث نلاحظ أنه لم يشر في فلسفته الاولى لا الى أرسطو ولا الى توما الاكويني ولا الى نظرية واضحة إستخلصها من دروس الفلسفة .حيث وجه ديكارت انتقادا شديدة لفلسفة أساتذته وعاب عليهم إعتمادهم على الجدل السخيف والنقاش العميق بين نظريات مختلفة لا يمكن أن تكون كلها صحيحة في آنٍ واحد ، وليست أبحاثهم سوى محاولات ترجيح نظرية على أخرى ، من شأنها ترك العقل أن يتمتع بالحرية الكاملة .ونظم الى ذلك نقده للرياضيات فعيب العلم الرياضي الذي درسه هو أنه لا يمكن تطبيقه في جميع أوجه الحياة ، مما يدل على أن هذا العلم كان محدودا ضيقا ومن هذا المنطلق الديكارتي كان العيب

1-دمصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، المرجع السابق صفحة من 15 – 24 (بتصرف)

الجوهري لتلك الثقافات العملية في مراجعها العليا أنها ليست الحكمة بالمفهوم الحقاني ، فاليقين معدوم من الناحية النظرية . أما الفلسفة الحقة هي البحث عن الحكمة ومن شأن الحكمة أن تكون نورا مشعا للإنسان يقوده الى الحياة المثالية .

الا أن هذا لا يمنع من الإعتراف بأنه تلقى عند الياسوعيين أفضل ثقافة يمكن للشاب أن يتلقاها وبأنه مدين لأساتذته بذور تفكيره ، بل من أن ينصح صديقا له بأن يرسل إبنه الى مدرسة الياسوعيين.[1]

المرحلة الثانية :(حياته بعد المدرسة)

بعد أن غادر ديكارت مدرسة لافلاش عام 1614م بعد مدة دامت ثماني سنوات ، شهدت حياته العديد من السفرات منتقلا من فرنسا وسويسرا وهولندا وإيطاليا . قاصدا الى باريس وهناك إلتحق بجامعة بواتيه وتحصل فيها على درجتي الباكالوريا والليسانس في الحقوق عام 1616.

وفي عام 1618 سافر الى هولندا والتحق بجيش موريس دونساو لكن لدواعي صحية خرج منه .وفي هولاندا إلتحق بالعالم الرياضي إسحاق بيكمان ، فصادق ديكارت فأهدى إليه رسالة في الموسيقى وهي باكورة مؤلفات الفيلسوف ، ولقد كتب إليه ديكارت عام 1619قائلا **"لقد كنت نائما وأنت الذي أيقضتني"**إذ عرض عليه عدد وفيرا من المسائل وكانا يعالجانها معا.[2]

وفي عام 1619 إستقر في نواحي مدينة أولم جنوب ألمانيا أين استقر في غرفة توسطتها مدفأة أطلق عليها المؤرخون إسم **"مدفأة ديكارت "**. وفي 10 تشرين الثاني من نفس السنة إهتدى بعد طول تأمل وتفكير الى إكتشاف ما يسمى ب**قواعد علم يستحق الاعجاب** ، حيث

1-دمصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، المرجع السابق، صفحة 23- 25
2- الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، ديكارت رائد الفلسفة في العصر الحديث ، الطبعة1، دار الكتب العلمية , بيروت (لبنان),1993,صفحة 12

وصل الى حالة من الصوفية السامية[1] .وفيها حدثت رؤية عجيبة وهي رؤيا العلم الرياضي على شكل ثلاث أحلام فسرها ديكارت بأنها دعوة صريحة موجهة إليه من أجل بناء علم حقيقي له مصداقية وفاعلية على ارض الوجود [2].وقد أفرد لها رسالة صغيرة سماها *بالأولمبيكا. .ويمكن أن نحدد ثلاث نقاط أساسية بعد هذه التجربة التي جاءته في المنام على الشكل التالي :

1- أن العلوم جميعا ليست إلا علما واحدا ، وأن مفتاحا واحدا يفتح جميع كنوزها .

2- أن الدعوة التي تلقاها ديكارت كنت من الله تعالى ، ولم يكن مصدرها الشيطان الخبيث .

3- على الفيلسوف أن يبحث عن ذلك المفتاح في نفسه وليس خارجها كما قال أورليوس أوغسطين . [3]

ومن أجل هذا المبتغى الأخير سافر ديكارت الى هولندا حيث لبث فيها عشرين عاما اعتزل خلالها الناس وأخفى عنهم محل إقامته حتى لا يزعجه في وحدته الهادئة مئات المعجبين الذين كانوا يؤدون زيارته في كل صوب . أي أنه وفي عام 1628 قرر إعتكاف الخلوة وترك الحياة الإجتماعية بصورة نهائية ، فترك فرنسا وأوصى أصدقائه بالبحث عن منزل له بالريف الهولندي ، وعندما تم له ذلك سافر الى هولندا وعاش فيها في عزلة تكاد تكون تامة حتى نهاية حياته تقريبا .

1- دكتور مهدي فضل الله , ديكارت ومنهجه , الطبعة 3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان) 1996صفحة78
2-فؤاد كامل واخرون ,الموسوعة الفلسفية المختصرة الطبعة1 ، دار القلم ، الصفحة 189-190
* **أولمبيكا:**ومعناها عند اليونان الوطن الالهي الذي هو فوق وطن المعقولات وآلهة الشعر وفوق وطن المحسوسات والتجريبيات (كتاب مقال عن المنهج صفحة 83)

3- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية (مصر) صفحة70

وفي عام 1648عاد ديكارت الى فرنسا تلبية لدعوة خاصة من أصدقائه من الحكومة الفرنسية ، وقد تعرف أثناء زيارته الى فرنسا **بشانو** الذي عين فيما بعد سفيرا لدي **كريستيانا ملكة السويد** ، والذي أصبح واسطة التعارف بين الملكة وديكارت .[1]

وفي سنة 1649أرسلت في طلبه الملكة كريستيانا فلبى ديكارت دعوتها ، ولم تكد تصل به السفينة الى أرض السويد حتى أرسلت الملكة الى ربانها تستنبه كيف كانت حالة الفيلسوف في طريقه الى بلادها فاجاب الرجل **"ولست أحسبه يا سيدتي إنسانا من البشر فإنّ من جئت به الى جلالتك اليوم لأقرب من رتبة الآلهة فقد زودني من العلم في ثلاثة اسابيع في شؤون الملاحة والرياح أكثر مما تعلمته في سنتين أنفقتها في البحار ".**

وشاء الله أن تكون زيارة الفيلسوف لملكة السويد سببا في موته . فقد كانت كريستيانا ـ وقد عرفها التاريخ بالنشاط الجم والحيوية المتوثبة ـ تستيقظ في الصباح وكانت تأبى إلا أن يكون درس الفلسفة في تلك الساعة المبكرة . فلاقى ديكارت من هذا الامر المتعسف ما لاقى من المرض والعناء ويظهر أنه قد كانت بنيته لا تقوى على برد الصباح الذي يقاسيه في طريقه الى القصر فأزعم مغادرة السويد ، لكن الملكة ألحفت على بقائه فأصابه برد الشتاء بعلة في رئتيه أودت بحياته سنة 1650في اليوم الحادي عشر من فبراير في سنه الرابع والخمسين.[2]

1ـ د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، المرجع السابق صفحة 44
2ـ د زكي نجيب محمود ، وأحمد أمين ، قصة الفلسفة الحديثة ، الناشر مؤسسة الهنداوي ، 1936، صفحة 59

المبحث الثاني : أعماله

ترك لنا هذا الفيلسوف الفرنسي عددا من الأعمال التي شغلت العالم حتى نهاية القرن العشرين . ظلت تقود أوروبا وتسيطر على أفكارها لمدة لا تقل على مائة وخمسين عاما منذ صدورها . ومازالت الدراسات منصبة على نصوص الفلسفة الديكارتية مستمرة على المستوى الأوروبي .

وعليه فقد قدم ديكارت لغيره من الفلاسفة والباحثين جملة من الكتب والمؤلفات التي توثقت فيها أفكاره وأرائه الفلسفية التي تخصه وتنوعت مؤلفاته فيما يلي :

1- العالمle monde :

كان من أثر عزلة ديكارت في هولندا ، أن بدأ كتابة أول مؤلفاته العالم ، الذي إستغرق منه عدة سنوات لإنجازه (1629- 1633)ولما إنتهى منه عام 1633 ، عزم على أن يبعث بمخطوطته الى أحد أصدقائه ـ الاب مورسين ـ لكي يبدي رأيه فيها .

كانت محكمة التفتيش في روما ، تدين غاليلو لنشره عام 1632 ، كتابا ينقض فيه الرأي الأرسطي و البطليمي السائد الذي يقول "ان الأرض ثابتة وهي مصدر الكون والفلك يدور حولها " فكان أن فزع فزعا عظيما وأمتنع عن ذلك وصرف النظر عن نشر كتابه ، ولأن شعاره الدائم كان **" عاش سعيدا من أحسن في الإختفاء "** حيث أنه لاحظ أنه متفق مع جاليلو على الاقل في نقطتين من نقاط بحثه الا وهما :

أولا : دوران الارض حول الشمس وليس العكس كما كان شائعا .

ثانيا : لا نهائية العالم فالعالم ليس محدودا كما كان يعتقد .

وفضلا عن أنه كان يطمح في أن تعلم طبيعياته في المدارس بدل علم الطبيعة الأرسطي ، وكان يرى أن ذلك ليس ممكنا . إذ ما عارضت الكنيسة ذلك ، وقد عبر عن فزعه من سلطة

رجال التفتيش في روما إن هو نشر مؤلفه الذي يسلم فيه في دوران الأرض ولا نهائية العالم ، وفي رسالة منه الى الاب مرسن يقول فيها **" أدهشني هذا الى حد كدت معه أن أصمم على إحراق أوراقي ، أو على ألا أظهرها لأحد على الأقل وإني لأعرف أنه إذا كانت حركة الأرض باطلة فإن كل أصول فلسفتي باطلة كذلك ، إذ أن هذه الفصول ثبتها إثباتا واضحا . وأنها من الإتصال بكل أجزاء رسالتي بحيث لا يستطيع فصلها عنها دون أن أصيب كل ما يبقى بنقص ولكن لما كنت لا أريد أن يصدر عني قول يمكن أن توجد فيه كلمة واحدة لا تقرها الكنيسة . فإني أفضل أن ألغي هذا القول على أن أظهرها مشوها "**[1]

وهناك كتاب آخر بعنوان قواعد لتوجيه العقل **rules for the dirction of the mind:**

عام 1628 لكنه لم يتممه . فكان الهدف منه إقامة فلسفة على أساس بناء جديد يكفل لها التصدي للتيارات الفلسفية القديمة ويصونه من التردي في مهاوي الشك والضلالات والوهم وتعصم مراعاتها الذهن من الوقوع في الخطأ ، فالكتاب على العموم رسالة في المنطق الجديد المعارض للمنطق الأرسطي الصوري التقليدي القديم [2].

2- مقال عن المنهجdiscours de la methode : 1637

وهو عبارة عن بحث علمي عن طريق التوجيه الصحيح للعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم ، إذ يعتبر هذا الكتاب تطويرا لأعمال سابقة لم تنشر وهي قواعد لتوجيه العقل التي كانت عام 1628 م . كان ديكارت يعتقد أن هناك طريقة من شأنها أن تنظم البحث الإنساني للمعرفة حتى يصبح أكثر نسقية ونجاح ، لقد تضمن كتابه " مقال عن المنهج " جميع القواعد لتوجيه العقل التي تحتاج الى إتباعها في البحث العلمي ، ومن هنا حاول ديكارت في

1 - د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان) 1996 صفحة 81
2- علي عبد الله المعطي ، تيارات فلسفية حديثة ، دار المعارف الجامعية الاسكندرية ، 1995 ، صفحة51

هذا الكتاب أن يبين كيف يمكن إكتشاف المعرفة الحقيقية فقط بإتباع بعض القواعد الرئيسة وأعتقد ديكارت أن هذه القواعد يمكن أن تكون الأساس لنوع جديد من المطلب العلمي [1].

لم يظهر هذا الكتاب حين نشره لأول مرة ككتاب مستقل وإنما كمقدمة لثلاث كتب نشرت معه وهذه الكتب الثلاث هي :

أ ـ البصريات optiques أوإنكسار الضوء dioptrique

ب ـ الأثار العلوية metores

ج ـ الهندسة التحليلية la geometrie analytique. [2]

3ـ تأملات في الفلسفة الاولى meditations: 1641

عكف ديكارت على تأليفه اثني عشر سنة ، إذ يعتبر من روائع المؤلفات الفلسفية على الإطلاق وهو بلا ريب أهم الأجزاء الفلسفية الديكارتية وأجدرها بالإعتبار نظرا الى المسائل التي تناولتها والحقائق التي بينتها تقنعنا بأنها أوفى ما ألف الفيلسوف في الميتافيزيقا بوجه العام وأبدع ما كتب في النفس الإنسانية ووجد براهين عن وجود الله بوجه خاص .

نشر ديكارت كتاب التأملات اللغة اللاتينية دون الفرنسية وكان قصده في ذلك كما يحدثنا هو نفسه أن يقصر كتابه على الخاص دون العامة ولكي يضمن أن يضفر كتابه بحسن القبول عند علماء اللاهوت المسيحين ، أرسله قبل الطبع الى **الاب مورسن** ليطلع عليه مشاهير العلماء والفلاسفة ورجال الدين أمثال "أورنو " " أجسندي" "هوبز " "كاتروس " بوردان " حيث تلقى من هؤلاء العلماء طائفة من الاعتراضات التي أوردها في كتاب التأملات .

1ـ ديف روبنسون كريس جارات ، ديكارت ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة العامة لشتون المطابع الاميرية ، 2001 صفحة 28

2ـ د إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية (مصر) ، صفحة 73

وكتب ديكارت ردوده عليها إذ جمعت الإعتراضات والردود ونشرت في ذيل الطبعة الثانية لكتاب التأملات سنة 1642م . [1]

ويتألف كتابه في ستة تأملات الا وهي :

- ❖ التأمل الاول : في الأشياء المشكوك فيها .
- ❖ التأمل الثاني : في طبيعة النفس الإنسانية وسهولة معرفتها .
- ❖ التأمل الثالث : في حقيقة الإله واثبات وجوده .
- ❖ التأمل الرابع : في التميز بين الخطأ والصواب .
- ❖ التأمل الخامس : في بيان ماهية الأشياء المادية ووجود الإله وحقيقته
- ❖ التأمل السادس : وجود الأشياء المادية والتمييز بين النفس والجسد . [2]

4 ـ مبادئ الفلسفة praite de la philosiphie: 1641

هو أحد المؤلفات الفلسفية التي لازالت ذات مكانة ممتازة في تاريخ الفلسفة على العموم . ألفه ديكارت على إثر الحملة العنيفة التي شنها عليه التقليديون من أنصار الفلسفة المدرسية لقد أشار الفيلسوف الى هذه المعركة حيث كتب الى صديق له يقول " لقد صممت على أن اكتب مبادئ فلسفتي قبل ان أبرح هذا البلد وربما نشرتها قبل إنقضاء عام . وقصدي أن اكتب عرضا مرتبا لدروس من فلسفتي في صورة دعاوي أقتصر فيها على ذكر جميع النتائج التي أنهيت إليها والدعاوي الحقيقية لها . وأود أن أطلع في الكتاب نفسه دروسا في الفلسفة التقليدية كفلسفة الأخ أوستاش مع تعقيباتي لكل مسئلة ..... وربما أوزنت في النهاية بين فلسفتين متعارضتين , ولكني أسألك ألا تذكر لأحد عن شيء من قصدي هذا حتى يتم لي نشر ميتافيزيقاي ."

1- رينيه ديكارت ، تأملات في الفلسفة الاولى ، ترجمة دكتور كمال الحاج ، الطبعة الرابعة منشورات عويدات ، بيروت 1988 ، صفحة 5-6

2- مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة 3 ، دار الطليعة، بيروت (لبنان) 1996، صفحة 83

وبعد ذلك بقليل نشر ديكارت ميتافيزيقاه التي أشار إليها في العبارة السابقة وهي كتابه التأملات في الفلسفة الاولى ، وحدث أن ألف الأب بوردان كتابا سخر فيه من التأملات الديكارتية فكتب ديكارت ردا عليه يقول **" لقد عدلت كما كنت نويته من نقص تلك الفلسفة ـ أي الفلسفة المدرسية ـ لأني أرى أن مجرد نهوض فلسفتي يقوض الفلسفة المدرسية تقويضا لا أحتاج بعده الى تفنيد آخر ."** إذا فقد قنع ديكارت لتقويض الفلسفة المدرسية بنشر كتابه مبادئ الفلسفة ، أوضح فيه الخلاف بين الفلسفة القديمة والفلسفة الجديدة والمميزات التي توجد في فلسفته وفضلها في تقدم المعارف البشرية تقدما مضطردا غير محدد . وكان في نية ديكارت أن يجعل كتاب المبادئ في ستة أجزاء مبادئ المعرفة ، مبادئ الأشياء المادية ، السماء ، الأرض ، النبات ، الحيوان والإنسان لكن لم يستطع إتمام الجزئين الأخيرين لقلة ما لديه من تجارب فقنع بالأجزاء الأربعة التي تشمل أولها الميتافيزيقا وتشمل ثانيها وثالثها و رابعها الفيزيقا المؤسسة على تلك الميتافيزيقا . [1]

5ـ رسالة في إنفعالات النفس traoité dépassions de gaie:

وهو آخر كتاب حررته يد الفيلسوف الفرنسي وقد كتبه بالفرنسية لا اللاتينية لأنه لا يريد حصر قراءته على فئة قلية من الناس . بل يريده للجمهرة التي تستطيع بسهولة أن تطلع عليه بلغتها ، ثم نشر الكتاب أواخر عام 1646 .

إنفعالات النفس هو قبل كل شيء كتاب في علم النفس يحاول ديكارت فيه أن يحل شتى الإنفعالات بل من أجل إجتناب الأهواء والإنفعالات، ليلم بها ويفسر آليتها .ليسمح بعد ذلك للعقل أن يسطر عليها ويسخرها لخدمة وسعادة الفرد في حياته العاطفية . ففي هذا الكتاب تلعب الإرادة دورا هاما نحو هذا النصر في الحياة الفرد الإجتماعية .

يبين هذا الكتاب أيضا علاقة النفس بالجسد وما لكل منهما من إنفعالات ، فالنفس لها ملذات عقلية والجسد له أيضا ملذات ممتعة والتي يجب ألا تهمل لصالح الأولى بحجة الروح على

1ـ رينيه ديكارت مبادئ الفلسفة ، ترجمة الدكتور محمد الامين، مكتبة النهضة المصرية ، 1960 ، صفحة من 6الى 12

الجسد . فديكارت لا ينسى على الإطلاق هذا الإنسان الذي يحمل آلة الجسد ، والتمتع بها له خيرات ونعم .

يتألف الكتاب من ثلاث أقسام . في القسم الأول يتناول الإنفعالات والعواطف في مظهرها العام . هذا ما يقوده الى المفهوم الخاص لطبيعة الإنسان ، الإنفعالات التي تأتي الى النفس بقوة الجسد وما فيها من حركة ديناميكية تحمل معها كل عنف الطبيعة والمفاجأة . أما القسم الثاني فإنه يعالج النظام الذي تتبعه هذه الإنفعالات والاحاسيس , ويميز ستة إنفعالات بدائية أصلية هي التعجب والحب والكره والرغبة والفرح والحزن وعنها تنبثق شتى الإنفعلات والمشاعر والأهواء الأخرى ، أما القسم الثالث والاخير فقد أضافه ديكارت أثناء طباعة الكتاب ويتناول الإنفعالات الخاصة المنبثقة من الإنفعالات الأساسية . إذ تناول مختلف المشاعر التي يعرفها الانسان في فترة أو أخرى في حياته فقد إنطلق التحليل من الشعور بالإحترام الى الإحتقار من التواضع الى التعجرف ومن الرجاء الى التخوف . [1]

ـ والجدير بالذكر أن مؤرخ حياة ديكارت **بابيه** ، يرى في كتابه **" حياة السيد ديكارت "** أن ديكارت ، كان يِفضل الكتابة باللغة اللاتينية (تأملات في الفلسفة الاولى ـ مبادئ الفلسفة) عندما كان يخاطب الخاصة من العلماء . وذلك لان اللغة اللاتينية ، كانت لغة النخبة من المثقفين والعلماء . في حين أنه كان يفضل الكتابة باللغة الفرنسية (مقال في المنهج ـ رسالة في إنفعالات النفس) عندما كان يود التوجه في حديثه الى العامة . [2]

وقد وردت كتب أخرى لديكارت حملت مبادئ الفلسفة الحديثة نذكر منها :

،

1ـ رينيه ديكارت ، إنفاعالات النفس، ترجمة جورج زيتوني ، الطبعة 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع بيروت (لبنان) 1993صفحة من 8- 10

2ـ د مهدي فضل الله ، ديكات ومنهجه، الطبعة3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان) 1996 صفحة 95

حديث الطريقة :

واحد من أشهر كتب ديكارت، يقدم فيه الكاتب طريقته الخاصة به في التأمل والتفكير، فيؤكد على أنَّ هذا الكتاب عرض لطريقته الخاصة في تأمله للأشياء وفلسفته لها وهو ليس موجَّهًا لأن يكون مثالًا للآخرين في إيجاد طرائقهم الخاصة بهم، بل مجرَّد مشاركة للطريقة التي سار عليها ديكارت نفسه، وقد انعزل ديكارت من أجل ذلك عن الخلق ومارس تأملاته التي بدأ فيها بنسف كل المسلمات والبراهين والقواعد القديمة سواءً كانت فلسفية أو دينية أو رياضية هندسية، حتى يبدأ ببناء بيت جديد بعد أن هدم البيت الفكري القديم، فيبدأ بالشك في كل شيء حتى لا يبقى شيء لا يشك فيه، ليصل في النهاية إلى نفسه التي بدأت بالشكوك ويستدل على أنَّ له نفسًا وذاتًا موجودةً قامت بعملية التفكير والشك، ويعتبر وجود الذات فكرة يسلِّم بها وينطلق منها لبقية المسائل، وقد أشار في الكتاب إلى أنَّ الآلة يمكن أن تتحدث وتعمل بناءً على برمجة الإنسان لها وفي هذا تحليق لخيال الكاتب الذي سبق الزمن وتنبأ لا شعوريًّا بالروبوتات الحديثة، وفي النهاية يدعو ديكارت لعدم الاكتفاء بالفلسفة النظرية بل يجب إيجاد فلسفة أخرى عملية تساعد الإنسان على تسخير الطبيعة من أجل راحته ويكون هو سيد الطبيعة .

"كتب ديكارت هذا الكتاب باللغة الفرنسية، وجعله قسمين : أحدهما علمي، والآخر فلسفي، أما القسم العلمي فكان قويا جدا، وفي القسم الفلسفي فقد إشتمل على بعض ما ذهب إليه في علم ما بعد الطبيعة. فكان من السهل على العلماء المعاصرين لديكارت أن ينتقدوا هذا القسم الأخير، فردّوا عليه وردّ عليهم، وساقه ذلك إلى تأليف كتاب جديد باللغة اللاتينية ضمنه تأملاته الفلسفية وهو كتاب التأملات .[1].

1- رونيه ديكارت "حديث الطريقة"، www.goodreads.com، اطّلع عليه بتاريخ 04-02-2020. بتصرّف

مراسلات ديكارت وإليزابيث:

كتاب مراسلات ديكارت وإليزابيث حوار الفيلسوف والأميرة في الفلسفة والسياسة والعلوم، وهو كتاب مثير للاهتمام يشمل تاريخًا وسيرةً ذاتيةً بالإضافة إلى تضمنه أقوالًا فلسفية عميقةً تلقي عليه أنوار العلم، وتأتي أهمية تلك المراسلات بالأسئلة التي كانت توجهها الأميرة إليزابيث إلى صديقها ديكارت، فكانت تثير تفكيره بشكل جدي، وتجعله يبحث في القضايا المختلفة من أخلاق وانفعالات وسياسة، استمرت المراسلات لمدة سبع سنوات أدَّت في النهاية إلى تطوير العلاقة بينهما، وأغنتها وحولتها من الجاذبية إلى التعارف، ثم إلى الإعجاب وفي النهاية إلى الصداقة، وقد جاءت في وقت متأخر من حياة ديكارت بعكس

الأميرة التي أتتها في وقت مبكر من حياتها، حيث كانت في الرابعة والعشرين من عمرها، وقد بدا الاختلاف بينهما في العمر غير واضح خلال المراسلات، وقد كان أهم ما يميز المراسلات أنَّها وثيقة في الفلسفة يتم من خلالها معرفة أفكار ديكارت ومجال الاهتمام الفلسفي للأميرة. [1]

ومما لا بد الاشارة له أن القارئ لكتاب ديكارت لا يجده باحثا في الأسلوب الأنيق ، فهو لا يهتم مطلقا بالجانب الموسيقي في الكلام ويعزف تماما عن إستخدام المحسنات اللفظية كما أنه يتجنب الكلمات اللامعة التي يستخدمها الجهلاء لتزين جهلهم . ومع ذلك يظهر التفائل الديكارتي بثقته في اللغة وقدرتها الفائقة على حمل الأفكار وهو على أي حال لا يبتغي منها سوى التعبير عن أشياء موضوع البحث أو التأمل .

ومما قد يدلل على أسلوب ديكارت في مختلف مؤلفاته قوله هو نفسه في القسم الأول من كتاب مقال في المنهج **" كنت عظيم التقدير للبلاغة ، كنت مولعا بالشعر لكني رأيت ان كلاهما أقرب أن يكون من المواهب النفسية لا من ثمرات الدرس . والذين لهم الحجة البالغة الذين يرتبون أفكارهم على أحسن وجه كي يجعلها جلية ومفهومة ، ويقدرون دائما على الإقناع بما يرون ولو كانوا لا يتكلمون إلا بالكلام العام ، ولم يتعلمون قط علم الخطابة وللذين لهم الأخيلة الرائعة ويعرفون كيف يعبرون عنها بأحسن المجازات وأحلى الأساليب هم خيرة الشعراء وإن كان فن الشعر مجهولا لديهم "** [2]

1-"مراسلات ديكارت وإليزابيث: حوار الفيلسوف والأميرة في الفلسفة والسياسة والعلوم"، www.abjjad.com، اطّلع عليه بتاريخ 04-02-2020. بتصرّف

2- د مهدي فضل الله , ديكارت ومنهجه , المرجع السابق , صفحة 86

وفي الأخير نصل الى أن فيلسوفنا ديكارت شخصية تفضى بالعبقرية الفذة تميل الى العزلة والانطواء باحثا عن السكينة التي تهيء له الجو الملائم لاستظهار مواهبه وإبداعاته في مجال المعرفة بوجه عام والفلسفة بوجه خاص ، أي أن الروح فيها المقام الأول فقد قضى الفيلسوف شبابه باحثا عن الحقيقة ، منقبا عن المشكلات العلمية دائبا على حلها . وأنفق أخصب سنوات عمره في مختلف أنحاء هولندا ، طالبا ملاذا مأمونا بعينيه على أن يفكر وان يتأمل في معانٍ واطمئنان .

كما أن الكثير من الفلاسفة قد أشاروا الى أسلوب ديكارت في كتبه المختلفة ،" فساند بوف" يرى مثلا أن ديكارت كان يكتب على سجيته وفولتير يقول **" لقد ولد ديكارت وله مخلية مشرفة قوية جعلت منه إنسانا فريدا في حياته الخاصة على نحو ما هو عليه كذلك في طريق تعقله ولا يمكن لهذه المخيلة أن تستخلص حتى في مصنفاته الفلسفية التي يرى فيها المرء في كل لحظة موازنات بارعة رائعة "**

الفصل الثانـي

الطريق الى الأنـا المفكر

المبحث الاول : الشك كأساس لاكتشاف الأنـا المفكر

المبحث الثاني : طبيعة الأنـا المفكر

الفصل الثاني : الطريق الى الأنا المفكر

يمتاز التفكير الفلسفي عند ديكارت بالمنهجية والبعد عن العفوية ، ذلك أن ديكارت أراد أن يؤسس الفلسفة على أساس متين ، فقد كان يطمح الى اكتشاف ما عساه أن يكون معرفة الأشياء الموجودة التي يمكن بلوغها بيقين ، لذلك بحث على هذا الأساس وتساءل عن وجوده وعن طبيعته . حيث بدأ ديكارت نسقه الفلسفي بالشك الذي يعبر عن تلك النبرة من الجرأة التي وصف بها ديكارت إنتصاراته ويعلو بها آماله في أن يعيد هو وحده بناء صرح المعرفة كاملا . فما طبيعة الشك عن ديكارت ؟ وكيف استطاع أن يصل به الى اليقين ؟

المبحث الاول : الشك كأساس لاكتشاف الأنا

1- الحاجة الى المنهج كأول خطوة في فلسفة ديكارت

ـ لقد كان للمنهج بذور عميقة نشأة مع الفيلسوف وتغلغلت في تفكيره منذ المرحلة التعليمية الأولى ، وتشهد بذلك محاولاته الأولية لطرق هذا الباب قبل أن يقوم بكتابة مؤلفه الكبير **"مقال في المنهج "**.أبانت كتاباته عن مجموعة كبيرة من المخطوطات التي ترجع الى عهد الشباب وقد دونت في مذكرات صغيرة ، و ذكر باييه مؤرخ الفيلسوف مجموعة مؤلفاته **كالبارناسوس والأولمبيكا وقصر العجائب** التي أبانت عن اهتمام ديكارت بالمنهج كما أن معلميه قالوا عنه **: أنه كان دائب البحث في المسائل العلمية وكان كأنه يحاول البحث عن المنهج كما كان مولعا بعلم الهندسة والرياضيات** . وبهذا يصبح المنهج عند ديكارت ضرورة وهدف يسعى الى تحقيقه [1].

يرى ديكارت أن الشعور بضرورة المنهج هو أول خطوة في الطريق الى التفلسف الصحيح وذلك حتى يتمكن من السير المنظم في بحثه عن الحقيقة في فوضى الأفكار، ويمنع التخطيط الذي دائما نتيجة متوقعة للسير على غير هدى أو بدون إتباع نظام معين . أما الخطوة الثانية في الطريق الى التفلسف الصحيح فهي هذا المنهج وتطبيقه في مجالي النظر والعمل . وليس هذا المنهج وتطبيقه سوى قواعد آمنة من الوقوع في الخطأ تستطيع أن تصل

1- د راوية عبد المنعم عباس ، ديكارت أو الفلسفة العقلية دار المعارف الجامعي ، الاسكندرية ، (مصر) ، 1989 ، صفحة85

الى اليقين بأيسر السبل [1]. لهذا نجده يقول " **المنهج هو عبارة عن قواعد مؤكدة وبسيطة إذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صوابا هو خطأ "**[2].وعلى هذا الأساس أراد إقامة منهج جديد تكون فيه الفلسفة كلية شاملة تحمل في طياتها كل العلوم ، فتأمل في الفلسفات و العلوم التي كانت قبله لكنها لم تكن مقنعة، فقررأن يكرس كل وقته وجهده ليصنع منهج جديد بعيدا عن أخطاء الأخرين ، مع الإستفادة من تجاربهم .

2- الرياضيات ودورها في تأسيس المنهج عند ديكارت :

المنهج عن ديكارت كما عبر عنه "جملة قواعد مؤكدة تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ . وتمكن من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته دون أن يستنفذ قواه في جهود ضائعة . "

وقد تساءل الفيلسوف أثناء وضع منهجه والهدف من الدراسة والبحوث التي لا يعرف عنها الإنسان سوى أراء ظنية أو احتمالية . ويجيب الفيلسوف على ذلك بأن حالة الجهل التام بها خير من معرفتها المزعزعة والناقصة ، ولم يكن هناك علم ما لم يكن هناك معرفة يقينية . ومن هذا المنطلق اتجه ديكارت الى تأكيده لليقين الرياضي ، حيث أصبحت المعرفة الرياضية هي النموذج الأمثل للمعارف اليقينية الواضحة والجلية المتميزة كذلك فالمعرفة مهما كان نصيبها أصلا من الصحة واليقين لن تكسب صفة الصدق الرياضي ، أو تكون على علم يقيني ، يعدل يقين الرياضيات ما لم تتوفر فيها شروط وخصائص الفكر الرياضي الذي يتميز بالتالي :

أولا: أن لا تشتغل إلا بمعاني واضحة ومتميزة أي معاني مضمونها بديهي كل البداهة .

1- د عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، دار الفتح للطباعة والنشر، 1995 ، صفحة 23

2- رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ترجمة سفيان سعد الله ، دار سراس للنشر ، تونس ، 2001 ،صفحة 371

ثانيا : أن تذهب دوما من المعاني الى الأشياء أي لا تنسب الى الأشياء إلا ما ندركه إدراكا بديهيا في معاني تلك الأشياء .

ثالثا : أن نرتب جميع أفكارنا في نسق خاص بحيث تكون كل المعاني منها مسبوقة بجميع المعاني التي يستند إليها وسابقة على الجميع المعاني التي تسند إليه .[1]

ومن النظر الى هذه الشروط نستطيع أن نقول أنها وُضعت في سبيل بلوغ المعرفة التي يعادل يقينها يقين الرياضيات .

كما نلاحظ مدى النظام المحكم والاتجاه والمطلق الدقيق نحو البديهيات . فهو يؤكد في الشرط الأول وجود معاني واضحة ومتميزة ويقصد بذلك أن تكون بديهية في المقام الأول وسوف نرى في هذا الشرط أي " البداهة " مستمرة الفاعلية في الشرطين الثاني والثالث

أيضا فالبداهة التي تبدأ في الذهن تظل هي الأساس للفكر والنظر ، والدليل على ذلك أن الفيلسوف ينبه على المبدأ من المعاني التي تتسم معرفتها بالبداهة ، فما أن نصل إليها حتى ندرك الأشياء بعد ذلك . فلا نخلع عليها صفات أو خصائص لا ندركها ببداهة في

معانيها الأصلية . ثم أن محاولة ديكارت في الشرط الثالث في ترتيب فكره في نسق خاص إنما تدل على مقدار النظام والدقة التي يريد الفيلسوف أن يكون عليها مستوى اليقين الرياضي .[2]

وعليه فقد ساهمت الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي بنصيب وافر ، وكان الفن التطبيقي الرياضي هو وسيلة للسيطرة على العموم والطبيعة ، فليس ثمة معرفة في العالم إلا

1- د عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف ، الاسكندرية (مصر) ،1967 ، صفحة 22
2- د راوية عبد المنعم عباس ، ديكارت أو الفلسفة العقلية دار المعارف الجامعية ،الاسكندرية (مصر) ،1989، صفحة88

من خلال التصورات الرياضية ، وقد بلغ إيمان ديكارت بهذا العلم الى حد تسليمه بعجز عقولنا عن الوصول الى أية معرفة رياضية واضحة ومحددة . وبعد تأكده من نجاحه أخذ يطبقه على فلسفته مستنتجا من هذا اليقين الرياضي أسس وقواعد لمنهجه تبلغ من اليقين ما يبلغه العلم الرياضي .[1]

3- أسس وقواعد المنهج الديكارتي :

أ- أسس المنهج الديكارتي

إن المنهج كما ذكرناه سابقا ، مجموعة القواعد التي تكفل لمن يراعيها بلوغ الحقيقة في العلوم . كما أنه إجتهاد شخصي لمن يستخدم النور العقلي المنبعث فينا من قبل الله والذي ليس بحاجة الى تعليم أو تلقيب . فيصل الى الحقيقة بوسيلتين أو فعلين هما فعل الحدس و وفعل الاستنباط . وقد ذكر ديكارت أهمية هذين الفعلين وفاعليتهما في الوصول الى اليقين في قوله **" إن جميع الأفعال العقلية التي نستطيع بها معرفة الأشياء دون أن نخشى الزلل عبارة عن فعليين اثنين أو وسيلتين هما الحدس والاستنباط ".** [2]

- الحدس : intuition

الحدس عند "ديكارت" هو الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق التي يعتقد فيها الإنسان ولا يتطرق إليها شك . الحدس نظرية عقلية بلغت من الوضوح والتميز أن زال معها كل شك ، وهذا الفعل لا يتعلق بالحواس ولا بالخيال وإنما يختص بالذهن ، أي الذهن الخالص الصافي يقول ديكارت **" أقصد بالحدس لا شهادة الحواس والحكم الخادع حكم الخيال ، وإنما أقصد به الفكرة التي تقوم في الذهن الخالص ، وتصدر عن فعل العقل وحده ".**

وعليه فإن الحدس عند "ديكارت" عمل عقلي يدرك به الذهن فكرة ما من تصور أو حكم أو إستدلال ، يفهمها بتمامها في زمان واحد لا على التعاقب ولا يقتصر على المعاني والأفكار بل يتناول أيضا حقائق لا تقبل الشك كما يتناول الطبائع البسيطة أي الخواص الطبيعية المجردة التي تدرك بالذهن إدراكا مباشرا ، ويمكن أن نستخلص منها جميع الطبائع الأخرى

1 - د راوية عبد المنعم عباس , ديكارت أو الفلسفة العقلية ، المرجع السابق صفحة 89

2- رينيه ديكارت ، قواعد لهداية العقل ، ترجمة عثمان امين ، صفحة 90

مثل ذلك : الوجود والوحدة والامتداد والحركة والشكل والزمان والمكان . كذلك أفعال الشك والمعرفة والإرادة .

ـ الاستنباط : Deduction

الاستنباط قوة نفهم بها حقيقة من حقائق نتيجة حقيقية أخرى أبسط منها . وهو فعل ذهني بواسطته نستخلص من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنها ، أو عملية تنتقل من الواحدة الى الأخرى ومن الحد الى الحد الذي يليه أو الذي يلزم عنه مباشرة وضرورة .

كما أن ديكارت لا يقصد الاستنباط نموذج القياس الأرسطي ، ولكن يقصد به أن ننتقل من فكرة حدسية الى نتيجة تصدر عنها صدورا ضروريا ـ أي لا يمكن تصور نقيضه ـ ومن ثم تكون النتائج مستنبطة حدسية هي الأخرى . وأراد ديكارت أن يتم الاستنباط الفلسفي بنفس طريقة الاستنباط الرياضي حيث تؤدي نتائجه الى معلومات جديدة لم تكن متضمنة في الفكرة الحدسية الأصلية . [1]

وعليه فإن الحدس والاستنباط هما الأساس الذي يتعين علينا إتباعهما للوصول الى المعرفة الحقيقية اليقينية ، بشرط أن نجيد استخدامهما بطريقة صحيحة .

ب ـ قواعد المنهج الديكارتي

ـ يعلن ديكارت في مستهل مقالته في المنهج ، شمول الفطرة السليمة أي العقل ليتوصل بعد ذلك الى سلامة استعماله **" إذ أنه لا يكفي أن يكون العقل سليما ، بل الأهم من ذلك هو أن نستعمله استعمالا جيدا "** وراح ديكارت يعمل على قواعده الخاصة بالمنهج على غرار القواعد الرياضية الأكثر دقة . حيث استخلص ديكارت أربع قواعد نجدها في كتابه مقال في المنهج والغرض منها وصف الطرق التي يعمل فيها الذهن حين يفكر تفكيرا رياضيا وهي :

1ـ د أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ، مؤسسة ديمو برس للطباعة والنشر ، بيروت (لبنان)، 2011، صفحة 77-78.

القاعدة الأولى : البداهة والوضوح

" ألا أُقبل شيئا قط إذ لم يكن لديه معرفة قطيعة بحقيقته أي أن أحرص على تفادي التسرع في الاستنباط في النتائج وتفادي المفاهيم المسبقة . وألا أضمن أحكامي على أشياء أكثر مما يعرض على عقلي بوضوح وتمايز شديدين بما لا يدعى مجالا للشك "

ومعنى القاعدة الأولى أنه ولبلوغ الحقيقة ، يجب أن لا يقبل أي شيء على أنه حق إلا ما هو بيّن للعقل ، والأمر يكون بينا للعقل إلا إذا اتصف بالوضوح والتمييز وقد وضح ديكارت معنى هاتين الصفتين في كتابه " قواعد لهداية العقل " فيقول **" إن الأشياء تكون واضحة ومتميزة إذا كانت من البساطة بحيث لا يستطيع العقل أن يقسمها الى أشياء أقل بساطة "**

القاعدة الثانية : التحليل

" أن أقسم كلا الصعوبات التي أمحص فيها الى أكبر عدد ممكن من الأجزاء حسب ما يستدعي الأمر لحلها بصورة أفضل **"**

ومعنى هذا أن كل بحث بطبيعة الحال يتضمن مشكلة ، وهي عبارة عن مسائل معقدة يطلب تفسيرها أو حلها ومن أجل ذلك يجب علينا أن نقسم تلك المشكلة أقساما كثيرة بقدر ما يلزم بإزالة كل الغموض ، وبعبارة أخرى ، ينبغي أن نقسم المشكلة المعقدة الى مشكلات أبسط منها وهذه بدورها الى أبسط منها حتى نصل الى معاني بسيطة كل البساطة بحيث لا تقبل القسمة ويعتمد عليها المجموع . وعندئذ يلزم أن نعالج على حدى كل مسألة من تلك المسائل الجديدة لتصبح أوضح وأبسط .[1]

القاعدة الثالثة : التركيب

" أن أوجه أفكاري بطريقة منظمة بالبدء بالأشياء الأبسط والأسهل في معرفتنا كي أرتقي شيئا فشيئا الى معرفة الأكثر تعقيدا على الإطلاق وبافتراض وجود ترتيب ما حتى بين الأشياء التي ليس لها ترتيب طبيعي بحسب أسبقيتها **"**

1- توم سوريل ، ديكارت مقدمة قصيرة جدا ، الطبعة 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة (مصر) ، 2014 ، صفحة 52 (بتصرف)

هذا ما دعت إليه القاعدة الثالثة ونجد في كتاب قواعد لهداية العقل شرحا لهذه القاعدة فيقول **" وبعد أن ذكر وجوب إرجاع القضايا الأشد غموضا وتركيبا الى قضايا أقل غموضا وتركيبا ، إن علينا أن نبدأ من هذه الأخيرة ابتغاء الوصل ، صعودا على نفس الدرجات الى معرفة القضايا الأخرى "** وبهذا يحدد ديكارت طريقة التقدم في المعرفة ، من الأبسط الى الأشد تركيبا .[1]

القاعدة الرابعة : الإحصاء

" أن أحرص طول الوقت **على** أن يكون ما أورده كاملا ومراجعتي وافية لدرجة تجعلني متأكدا من عدم إغفال أي شيء مهما كان "

ـ وعليه فقد أعلن ديكارت عن مبادئ اعتبرها تجسيدا لمنطق جديد كليا يجُّب القياس المنطقي الأرسطي ، وبعدها يبارك لنفسه إستبدال المنطق القديم بمجموعة موجزة من القواعد رسمت الخطوط العريضة لمنهج متكامل ألقى بضلال الشك الى رحلة من اليقين .[2]

4 ـ طبيعة الشك عند ديكارت :

ـ ذهب ديكارت الى أن البحث عن الحقيقة لابد أن ينطوي على ممارسة الشك ، فقليل من الشك يصلح للعقل والكثير منه ضار ولهذا كان ديكارت يرى أن كل إنسان لابد أن يشك ولو لمرة واحدة في حياته في كل ما آمن به من حقائق وما توارثه من معتقدات وآراء متواترة وصلت اليه عن طريق ما يسميه ديكارت **" بالفكر الشائع ".**

ولعل ما يثبت نظريته الشكوكية هو أنه عاش في عصر كان فيه مذهب اللاأدريين أو الشكاكين شائعا .بل ورائجا وقد إطلع على أرائهم ولا سيما على أراء ميشال دي مونتاني الذي إشتهر بلاأدريته المطلقة حتى أنه بدأ يشك في قيمة المعرفة الفلسفية منذ كان على مقاعد الدراسة في مدرسة لافلاش .[3]

1ـ د أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، صفحة 81 (بتصرف)

2ـ توم سوريل ، ديكارت مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق ، صفحة 52 ـ 53 (بتصرف)

3ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة 3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان) ، 1996 صفحة 78

ولما كان مطلب الفيلسوف **"بلوغ اليقين"**الذي يمكن أن يقيم عليه بناء العالم كله ، فقد صمم على أن يشك في كل شيء وفي كل ما تعلمه من قبل وأن يمضي في هذا الشك إلى ابعد الحدود ، بادئا النظر كله من جديد ، وكأن عينيه متفتحان لأول مرة على العالم من حوله .

وإذن الخطوة الأولى التي يفضي به المنهج الفلسفي هي **" تعليق "** أرائنا عن الأشياء ووقف أحكامنا عليها ريثما تتبين حقائقها يقول ديكارت في كتاب التأملات

" للفحص عن الحقيقة يحتاج الإنسان مرة في حياته أن يضع الأشياء جميعا موضع الشك بقدر الإمكان " .

ويقول أيضا **"فقد تلقيت طائفة من الآراء الباطلة ، وكنت أحسبها صحيحة ، فحكمت حينئذ بأنه لابد لي مرة في حياتي من الشروع الجدي في إطلاق نفسي من جميع الآراء التي تلقيتها في اعتقادي من قبل ، ولابد من البدء في بناء جديد من الأسس ، إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم شيئا وطيدا ومستقرا ".**[1]

وفي خطاب أرسله إلى أحد أصدقائه يوضح له فيه منهجه الخاص في الشك كتب ديكارت يقول **"تخيل أن لديك مجموعة من التفاح تريد حفظها في السلة . إن الرجل الحكيم لابد أن يتأكد أن جميع التفاح سليم ، إذ لو كانت إحدى التفاحات معطوبة وفاسدة ، فسوف تفسد في النهاية جميع التفاحات الأخرى ، ومن ثم فإن أي تفاحة يكون فيه أدنى شائبة لابد من استبعادها بلا هوادة على أنها لا تصلح".** هذا هو بالضبط ما يفعله الشك الديكارتي .

من الواضح أن التفاحة المعرفة التي تبقى في نهاية هذه العملية سوف تكون متميزة للغاية ولا يمكن الشك فيها أبدا.[2]

1- د أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، صفحة 82 -83

2- ديف روبنسون ، كريس جارت ، ديكارت ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية ، [2] 2001 صفحة44

كيف شك في كل شيء ؟

سرعان ما تبين لديكارت أن الشك النسقي في كل جزْء من أجزاء المعرفة ، عمل يستحيل فإنه عليه تكرار ومراجعة كل التجارب التي أجريت حتى الآن وكذلك إختيار جميع الاستنباطات الرياضية التي تمت ، وأن يزور جميع أنحاء العالم ، وأن يقرأ جميع الكتب التي كتبت **.....** وهكذا .[1]

لكنه وجد أنه ليس بحاجة الى تدليل كل المعارف السابقة بل يكفي أن نجد فيها سببا للشك إذ ليس الشك مقصودا هنا لنفسه بل لامتحان معارفنا وقوانا العارفة ولسنا بحاجة كذلك الى استعراض تلك الآراء رأيا رأيا ، بل يكفي أن نستعرض المبادئ ، فإن هدم الأساس يجر وراءه كل البناء .[2]

ـ وفي عام 1639بدأ ديكارت يكتب كتابه **التأملات** حيث كان يعيش حياة شبه منعزلة في هولندا لمدة عشر سنوات ، يعتبر هذا الكتاب هو الذي بفضله حقق له الشهرة في النهاية فأصبح أحد الفلاسفة المؤثرين في القرن السابع عشر . الكتاب عبارة عن تسجيل يوميات حية لأفكاره على شكل ستة تأملات من المفترض أن كل تأمل استغرق يوما كاملا ، أي أن لكل يوم من الأيام الستة تأمل خاص بيه وصولا الى ذروة الـتأملات .

ـ إستهل ديكارت التأمل قائلا أنه لمرة واحدة في حياته سيعمد على تطهير أفكاره من كل شيء يداخله الشك ليبدأ بعدها بالبحث عن الأشياء المعروفة الواضحة تماما ويتضمن هذه التأملات عرضا لنظام ديكارت الميتافيزيقي وتوسيعا لنظامه الفلسفي .[3]

ـ إن ما يثبت نظريته الريبية و الشكوكية هو تأمله الأول الذي عرض فيه المبررات التي تجعلنا نشك في كل الأمور عامة لاسيما في الأشياء المادية . يقول ديكارت في كتابه التأملات **" فائدة هذا الشك عظيمة جدا وإن كانت لا تظهر لنا فورا فهي لا تمنعنا عن**

1- ديف روبنسون ، كريس جارت ، ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 45

2- د يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، كلمات عربية للطباعة والنشر ،القاهرة(مصر)، صفحة74

3- رينيه ديكارت ، تاملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ،ترجمة كمال الحاج ، الطبعة 4 ، دار عويدات ، بيروت (باريس) 1988 ، صفحة19

إطلاق الأحكام السابقة ، وتمهد للفكر السبيل نحو التحرر من الحواس وتقوي إيماننا بالأمور التي تكون قد بانت لنا أنها صحيحة "[1]

ويقول في موضع آخر **" إن التأمل الأول قد أثار في نفسي شكوكا كثيرة . فما أدرى السبيل الى الخلاص منها . ولكني أريد أن أمضي في الطريق عينه ، حتى أهتدي الى شيء يقيني لا شك فيه أو على الأقل حتى أعلم علم اليقين أنه لا شيء في هذا العالم بيقيني".** [2] لهذا نجده قد وضع مختلف الأفكار والمصائب في دائرة الشك والريب يقول ديكارت **" لكي أتخلص من هذه المشكلة سألت نفسي من أين تأتي جميع المعارف البشرية ؟ وتبين أنه لا يوجد سوى مصدرين فقط للمعرفة ، فهي إما أن تأتي عن طريق الحواس أو من العقل "** أي أن معرفتنا بالأشياء المادية تأتي عن طريق الحواس الخمس بينما معرفة الأمور كالرياضيات والمنطق تأتي عن طريق العقل ، فاختصر ديكارت الطريق و تساءل عما إذا كان يمكن الشك في هذه المصادر الإنسانية نفسها . [3]

دواعي الشك

- إن النظر في دواعي الشك لعظيمة الأهمية من أجل التعرف على الأساس الذي يقوم عليه اليقين في فلسفة ديكارت . لأنه وإن كان من المقطوع بيه أن الشك عند ديكارت ليس كشك البيرونيين أو السفسطائيين ، بل مجرد صلاح يدرأ به مقدما عن اليقين الذي يصبو إليه بكل فكره حتى يبقى ذلك اليقين الذي ينشده أساسه وحكمه كافيا بالفعل للنجاة من سهام الشك نفسه والتعرف على الخطأ والصواب . [4]

لذلك بدأ ديكارت يختبر معتقداته واحدة تلوى الأخرى .

1- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، ترجمة عثمان أمين ، المركز القومي للترجمة القاهرة (مصر)، 2009 ، صفحة 55

2- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، ترجمة عثمان أمين ، المرجع السابق ، صفحة 86

3- ديف روبنسون ، كريس جارات , ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 45

4- نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ، المطبعة الفلسفية الحديثة ، القاهرة (مصر) 2003 صفحة 73 (بتصرف)

I / المعتقدات التجريبية : (خطأ الحواس)

يؤكد ديكارت أنه كثيرا ما لا يمكن الثقة في الأعضاء الحسية البشرية كمصادر للمعرفة الحقة ، وعلى الرغم أنه لم يشك أبدا في أن لدينا تجارب حسية ، وليس لدينا الطريقة لمعرفة أسبابها معرفة يقينية إلا أن الغاية هي البحث عن الحقيقة ، فبوسعنا أن نشك أولا بالأشياء التي تقع تحت حواسنا والتي تخيلناها إطلاقا ، ذلك أن التجربة قد دلتنا على أن حواسنا قد خدعتنا في مواطن كثيرة وأنه لقلة التبصر أن نطمئن كل الاطمئنان الى من خدعونا ولو مرة واحدة . [1]

فقد نسير مثلا في مستنقع . وخلال ضباب ترى رجلا من بعيد تنادي عليه دون أن تتلقي جوابا ، ويبدو أن الرجل صامتا وبلا حركة ، وعندما تقترب منه تبين لك أنك تبادلت حديثا من مسافة بعيدة مع عمود من حجر فحواسك هنا قد كذبت عليك .[2]

وأنت تضع عصا في الماء فتبدو مكسورة بمجرد هبوطها في الماء، ثم تفحص العصا بحاسة اللمس فتجد أنها مستقيمة . وإذن إما أن تكون عينك أو أصابعك تكذب عليك أو أنهما معا تكذبان . المشكلة أنك لا تملك طريقة من طرق المعرفة موثوق فيها تحدد بواسطتها أي حاسة من الحاستين (اللمس أو الإبصار) هي الحاسة الصحيحة . ولم يذهب ديكارت الى القول أن حواسنا باستمرار لا يمكن أبدا الثقة فيها ، فربما قدمت لنا معلوماتنا الحسية بصورة تقريبية عامة ما الذي يوجد في العالم الخارجي ، ولعل هذا هو السبب في أننا بقينا على قيد الحياة فترة طويلة كنوع بشري . غير أن المعلومات التي تأتينا عن طريق الحواس

1- رونيه ديكارت ، مبادئ الفلسفة ، ترجمة محمد الامين ، مكتبة النهضة المصرية ، 1996 صفحة 89
2- ديف روبنسون ، كريس جارات، ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 46

يمكن الشك فيها ، لهذا **لابد من استبعادها من سلة التفاح** فليس من الحكمة أن نطمئن الى من خدعونا ولو لمرة واحدة وهكذا تصبح المعرفة الآتية عن طريق الحواس موضع ريبة .[1]

ـ تبدو حجج ديكارت مقنعة للغاية لكنها لم تكن على الدوام مقبولة تماما . إذ يرى المعارضين لتأملات ديكارت واستنتاجاته الشكية على الحواس أنه من غير الممكن أن حواسنا قد كذبت علينا إلا أنها في النهاية تكشف عن الحقيقة ، فنحن في نهاية المطاف نعرف أننا كنا نتحدث الى العمود الصخري وليس الى إنسان لأن أعيننا تخبرنا بذلك ، غير أن ذلك لم يضعف حجة ديكارت حيث يقول **"لا نزال نتلقى من حواسنا رسائل متضاربة لكن المعلومات التي تصلنا على هذا النحو يمكن الشك فيها ومعنى هذا أنه ليست حواسنا هي التي تكذب علينا وإنما تفسيرنا للمعلومات التي تقدمها لنا ، فنحن نرى شكلا رماديا اللون فنستنتج عندئذ أنه رجل وحاسة البصر لم تكذب علينا ولكن ما يحدث هو سوء التفسير "**[2]

. ـ أما حجة ديكارت الثانية ضد الحواس فيطلق عليها في العادة إسم" **حجة الأحلام "** فماذا لو أمسكت بالقلم في يدك ونظرت الي الصفحة في ضوء النهار وفي ظل الظروف فكيف يمكن لك في هذه الحالة أن تكون على يقين أن المعلومات التي أتت إليك عن طريق الحواس صحيحة أو موثوق بها .....؟ كيف يمكن لك أن تكون على يقين من أنك تمسك قلما وليس شيئا آخر.

ببساطة شديدة يمكن أن تكون في حالة حلم ، فتحلم أنك تمسك قلما وحقيقة الأمر أنك نائما في فراشك وتحلم أنك تمسك بالقلم . ربما لا يخطر بذهنك أن الأمر على هذا النحو ، لكن هل يمكن أن تثبت أنه ليس كذلك ؟ . يعتقد ديكارت أنك لا تستطيع أن تثبت ذلك . ليس هناك اختبار واضح يبلغ من المعرفة والوضوح أن يشير الى نوع الحالة الذهنية التي

1 ـ ديف روبنسون ، كريس جارات ، ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 47
2- ديف روبنسون ، كريس جارات ، ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة52

تخبرها في وقت معين . بل ليس في استطاعتك أن تبرهن على أنك لا تحلم . إذن فحتى التجارب القريبة التي تمر بها يمكن الشك فيها وبالتالي **لابد من حذفها من السلة .** [1]

ـ وقد ذهب بعض الفلاسفة أنه ليس من الممكن أن لا نستطيع أن نميز بين النوم واليقظة ومن ثم فهناك شيئ غير متماسك في حجة ديكارت إذ يقول ديكارت **" لكن لابد أن أجيب على ذلك بأن أشير الى أننا لا يمكن أبدا أن نكون متأكدين على نحو مطلق وشامل من أننا في حالة يقظة فهناك لمسة من الشك لا يمكن أن تمحى "**[2]

II / المعتقدات العقلية : (الشيطان الخفي)

ـ نحن نعرف أن ديكارت فيلسوف عقلي يؤمن بأن المعرفة الموثوق بها لابد من أن تأتي عن طريق العقل ، لا عن طريق حواسنا البشرية المشكوك في أمرها ، لكن شك ديكارت لم يتوقف عند الحسيات فقط بل امتدّ الى المعقولات أيضا . ومن ثم فإن هجومه على الثقة في الحواس لا يدهشنا إلا قليلا .

يرى ديكارت أن الإنسان ليس كائنا حاسا متخيلا ومتذكرا فحسب بل إنه كائن ناطق يعتمد على عقله في الاستدلال والتبصر ، ومن المتفق عليه أن هناك علم واحد على الأقل يبدو فيه

ذلك الاعتماد ضامنا للإنسان من الخطأ وهو العلم الرياضي ولكن التجربة لا تؤيد ذلك الاتفاق تمام التأييد . فكم من مرة أخطأنا بل أخطأ أبرع الرياضيين في براهين هذا العلم . [3]

1ـ ديف روبنسون ، كريس جارات , ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 48
2ـ ديف روبنسون ، كريس جارات , ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة53
3ـ د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، دار مكتبة الهلال،بيروت (لبنان) ، 1989 ، صفحة 83

ـ **أي** أن ديكارت لا يوافق على ذلك إذ يؤكد أنه بإمكاننا الشك في مضامين المنطق والرياضيات ، فهو يذكرننا جميعا أننا في العادة ما نرتكب أخطاءا في الرياضيات فكيف يمكن لنا أن نعترف أننا لا نقترف أخطاءا كل وقت ؟ حتى أنه قد افترض أن **شيطانا ماكرا** يعبث بكل الروابط العقلية الصرفة بين المعاني والأفكار ، ويظل الفكر باستمرار في أبسط الأشياء وأكثرها بداهة مثل 2+2= **4** وما شابه . [1]

وعلى هذا الحد يغلو ديكارت في الشك و اصطناع دواعيه إن لم يجدها حاضرة . ولكي يتمكن من القضاء على هذه الدواعي أبرع وجود شيطان عبقري هدفه في الحياة هو خداعنا . والذي كان ذكيا بما فيه الكفاية للقيام بذلك ، لم يعتقد تماما أن مثل هذا الكائن من المحتمل أن يوجد لكنه لاحظ أنه لا يمكننا استبعاد وجوده طالما وجود الشيطان العبقري ممكنا .

يقول ديكارت بصريح العبارة **" قد نظن أن الرياضيات يمكن أن تنظم نفسها وتميز ذاتها لكن قد يكون هناك شيطانا خفيا يدفعنا باسمرار الى الظن بأن الرياضيات صحيحة "**[2]

وعليه يمكننا القول أن ديكارت يذهب الى أن الجنس البشري ربما ارتكب خطأ طوال التاريخ في الرياضيات وربما كان من ابتكار هذا الشيطان الخفي الذي يمثل لحظة الشك التي راودت ديكارت . ونجد هذا الأخير يؤكد أنه لا يمكن التخلص من هذا الشيطان إلا من خلال الاستنجاد بالإله يضمن له عدم الزلل والوقوع في الخطأ. وهنا إعتمد ديكارت على الضمان الإله الذي يعتبره واضح الأفكار في العقل والذي يتميز بالبداهة والوضوح .

III/ معتقدات العلوم والأفكار المركبة :

ـ من المتعارف عليه أن النسق الصحيح في المعرفة حسب ديكارت، ينطلق من الأفكار البسيطة والواضحة لهذا نجده أنه شك في العلوم التي تقوم على الأفكار الغامضة بل أن الشك والريب بها كبير والثقة بها قليلة فالعقل يدعونا لرفض كل ما لم يبلغ اليقين التام

1 ـ نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ، المطبعة الفلسفية الحديثة ، القاهرة (مصر) 2003 صفحة 79
2- ديف روبنسون ، كريس جارات , ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة50

حيث نجده يقول :" **إن علوم الطبيعة ، الفلك ، وسائر العلوم الأخرى التي تدور على الأشياء المركبة هي عرضة لشك قوي وأن الثقة بها قليلة ".**

أما الحساب والهندسة أي ما ارتبط بالرياضيات والعلوم المشابهة لها فهي تنظر الى الأمور البسيطة جدا ، فلاشك ولا تشكيك فيها وذلك لأنها تنطلق من البديهيات والأمور البسيطة الواضحة لتكون بذلك عملية واضحة ومتميزة للعقل ويسهل التأكد من مشروعيتها وصحتها.

لذلك قال **" أما الحساب والهندسة وما شاكلها من العلوم التي لا تنظر إلا الى الأمور البسيطة والخاصة جدا ، دون إهتمام كبير يبلغ تحقق العلوم في الخارج أو عدم تحققها فهي تحتوي على شيء يقيني لا شك فيه ".** [1]

- وبالتالي فما أراد ديكارت تأكيده هو أن 5+5= دائما 10 ، كما أن المثلث يحتوي على ثلاث أضلاع ، ولا سبيل لإضافة ضلع أخر. ومن ثم فهذه الحقائق ثابتة عبر الزمان والمكان وصادقة على الدوام لا يطالها أي شك .

وعليه نقول أن مطلوب الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت هو بلوغ اليقين الذي يمكن أن يقيم عليه بناء العلم كله ، فقد صمم على أن يشك في كل شيء وفي كل ما تعلم قبل وأن يمضي في هذا الشك الى أبعد حدوده ، بادئا النظر كله من جديد وكأن عيناه تتفتحان لأول مرة على العالم من حوله . [2]

إذن فديكارت يعترف باستمرار انه يقوم بنوع خاص من لعبة فلسفية وهي مجرد تعليق مؤقت لمعتقداته وعن طريق تعليق بعض هذه المعتقدات فإنه كان يتمسك ببعضها الأخر وهي معتقدات أكثر تقدما حول السبب الذي من أجله كان شكه المؤقت ضروريا .

ومن خلال ما سابق ذكره أوشك ديكارت أن يقنعنا أن **سلة التفاح المعرفة** لابد أن تبقى للحظة قصيرة فارغة . وجميع معارفنا قد تكون فاسدة - من حيث المصدر - وقد لا تكون ،

1 - رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ،ترجمة كمال الحاج ، الطبعة 4، دار عويدات ، بيروت (باريس) 1988 ، صفحة 14

2 - نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ،المرجع السابق ، صفحة 80

لكن ليس باستطاعتنا أن نظمن أنها ليست كذلك فحواسنا قد تكون كاذبة ، وربما كنا في حالة حلم ، أو أن شيطانا خفيا لا نراه قد يحاول الإيقاع بنا . تلك هي النتيجة المتراكمة لجميع الحجج التي هي في النهاية قوية ودامغة .

وعليه يمتاز الشك الذي يقصده ديكارت بأنه ليس نهاية حركة العقل الفلسفي بل ليس بدايتها ولا مشروعا فيه ، إنه البحث عن نقطة البداية ، عن النقطة التي يصح للفيلسوف أن يبدأ عندها فالشك هو المرحلة الأولى ، هو التأمل الأول في الفلسفة ، هو الطريق للاكتشاف الفلسفي فهل من المحتمل بعدما ذكرنا أن نتيقن من شيء أو نؤكد شيئا ؟ وهل يمكن أن نثبت موجودا ما ؟

ففي خضم هذا الشك الرهيب لمع في رأس ديكارت النور بغتة ، فأخيرا عثر على شيء لا يمكن الشك فيه ، ولا في حقيقته ، وهذا الشيء ما هو إلا فعل الشك ذاته ، إذ كيف يمكن أن نشك في الشك ، فالشك في نهاية الأمر هو فكر فهذا يعني أني أفكر ، وطالما أنا مفكر فهذا يعني بالضرورة أن هناك ذات موجودة تمارس فعل التفكير . إذ هل من الممكن لشيء غير موجود أن يفكر ، وهل يمكن أن أفكر إذ لم أكن موجودا وعليه أصبحت المعادلة على الشكل التالي **" أنا أشك والشك هو فكر، فهذا يعني أني أفكر ، وطالما أنا أفكر فهذا يعني أني موجود "**، وهنا فقط إكتشف ديكارت الانا المفكر ، وعليه فهذه هي نقطة الارتكاز التي سينطلق منها ديكارت . فما طبيعة هذا الأنا المفكر الذي عثر عليه ديكارت ؟

المبحث الثاني : طبيعة الأنا المفكر

- لو كان ديكارت فيلسوفا شاكا حقا فلا بد أن تنتهي فلسفته هنا ـ أي عند الشك أيضا ـ لكنه اتضح في النهاية أنه ليس فيلسوفا شاكا حقيقة ، فبمراجعة عملية الشك الذي يقوم بها ديكارت ، تكشف أنه في النهاية يحاول قدر المستطاع أن يكشف على شيء واحد لا يمكن الشك فيه أبدا . إلا أن رست سفينة أفكاره الى شاطئ اليقين . فما طبيعة هذا اليقين ؟

1- الكوجيتو كأول مراتب اليقين :

- إستهل ديكارت تأمله الثاني من كتابه التأملات يقول **" إن التأمل الذي عكفت عليه أمس غمر نفسي بشكوك كثيرة لم يعد في مقدوري أن أنساه ، ولا أن آخذ الى دافعها سبيلا وكأني سقطت على حين غرة في ماءٍ عميق جدا ، فهالني الأمر هولا شديدا ، فما أنا قادر على تثبيت قدمي في القاع ولا على العموم تمكين جسمي من سطح الماء . لكني سأبذل جهدي للمضيء في الطريق الذي سلكته أمس متجنبا كل ما قد تسنح لي فيه بادرة الشك كما لو كنت متحققا من بطلانه وسأمضي في هذا الطريق قدما حتى اهتدي الى شيء يقيني فإن لم يتيسر لي ذلك ليثبت على حالي على الأقل حتى أعلم علم اليقين أنه ليس في العالم شيئا يقيني . فإن أرشميدس لم يكن يطلب إلا نقطة ثابتة غير متحركة ، لكي ينقل الكرة الأرضية من مكانها الى مكان آخر . وكذلك أنا يحق لي أن أعلق أكبر الآمال أن يسعني الحظ فوجدت شيئا يقيني لا شك فيه "** .[1]

أي أن ديكارت في هذا التأمل يسعى الى البحث على المذهب العقلي لا يكون موضع شك لقيم عليه فلسفته وعلمه ، وقال أن أرشميدس لم يطلب إلا نقطة ثابتة غير متحركة ليزحزح الكرة الأرضية من مكانها ولينقلها الى موضع آخر وعلى هذا النحو يكون لديكارت الحق

1- رونيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، ترجمة عثمان أمين ، المركز القومي للترجمة، القاهرة (مصر) ، 2009 ، صفحة 93- 94

في أن يتصور آمالا بحيث يجد شيئا واحد يقينيا لا يقبل الشك ، وإذا كان من المستحيل أن توجد في الكون هذه النقطة الثابتة الغير متحركة التي تصلح أن تكون تكأة أو محور ارتكاز كما يقال لنقل الكرة الأرضية من مكانها على نحو ما تخيل أرشميدس ، فإنه لم يكن مستحيلا على ديكارت أن يجد كذلك تلك التكأة العقلية التي يرى أنها باستطاعته أن تكون قاعدة يقوم عليها علم ثابت .

وشاء لديكارت أن يبدأ بالشك في البحث عن مبدأه العقلي وأن يجاري اللاأدريين في غلوهم حيث يضيف ديكارت ويؤكد **" لقد شككت في جميع الأشياء التي رأيتها باطلة ..... فربما كان هناك شيء غير مختلف عنها ولا قبل لنا بالشك فيه . أليس هناك إله يضع في ذهني أفكاري عن الأشياء جميعا؟ أليس ذلك ضروريا ؛ لأنه يجوز أن أستحدث هذه الأفكار من نفسي وأنا نفسي على الأقل هل أنا شيء ؟ ..... " .** [1]

وبوصول ديكارت الى هذه الدرجة من الشك ، حتى الشك في وجوده و هو نوع من الشك لا نلاحظه عند أحد من الفلاسفة من قبل على حد علمنا. خطر بباله تساؤل ـ غريب في نظرنا ـ يتعلق بعلة شكه وافتراضه لذلك ، وجود شيطان ماكر خبيث يعمل على تضليله بكل ما أوتي من قوة وبكل ما وسع من حيل .[2] إذ يقول ديكارت **" لكني كنت قد اقتنعت قبلا ، أنه لا يوجد في العالم شيء على الإطلاق ؟ فلا سماء ولا أرض ولا نفوس ولا أجسام ، وإذا هل اقتنعت أني لست موجودا كذلك ؟ هيهات فأني موجود بلا ريب لأنني أو لأني فكرت في شيء . لكني لا أدري قد يكون هناك مضل شديد القوة والمكر يبذل كل ما أوتي من مهارة لإضلالي على الدوام " .**[3]

1- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، ترجمة عثمان أمين ، المركز القومي للترجمة القاهرة(مصر)، 2009 ، صفحة 94- 95

2- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه، الطبعة 3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان)، 1996 صفحة91

3- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، الرجع السابق ، صفحة 95

ويقصد ديكارت بأن وجوده أمر ثابت ، طالما أنه يفكر ويشك ، فيما أنه هو الذي يفكر فهو موجود حتما . لكن يراود ديكارت شك أخر ؛ ماذا لو كان مخطأ أو منخدعا في هذا ؟ مفترضا كما ذكرنا سابقا وجود كائن قوي جدا وماكر يستطيع أن يتسلط على نفسه ويجعله يعتبر ما كان كاذبا على أنه صادق . يقول ديكارت **"فليكن ، وليفترض وجود هذا الكائن الخداع الماكر ، ليس من الشك إذن في أني موجود متى أضلني فليخدعني ما شاء أن يخدعني ، فما هو بمستطيع أبدا أن يجعلني لا شيء ، ما دام يقع في حسباني أني شيء .**

أفكر وأشك فينبغي عليا إذا أن أخلص الى هذه القضية أنا أفكر وأنا موجود قضية صحيحة بالضرورة كلما نطقت بها وكلما تصورتها في نفسي ".[1]

وعند بلوغ ديكارت هذا الحد ، بدأ يستعيد من جديد رحلة العودة الى الوجود ، وبخاصة الى وجوده هو أولا ، فقد لاحظ بأنه يشك ويشك في كل شيء ، حتى وجوده ، وأن هذا الشيطان

لم يستطع أن يضلله من حيث هو كائن يشك أو موجود يشك ، ذلك لأنه لاحظ بأنه كلما أمعن في الشك ، ازداد يقينا بأنه موجود يشك أو بالأحرى موجود يعرف أنه يفكر ويشك ، ومن هنا وصل ديكارت الى حقيقة أولية ، مفادها ، أنه لا مجال للشك على الإطلاق في حقيقة وجوده :كإنسان يشك ويفكر فهو يقول **" كلما شككت ازددت تفكيرا فازددت يقينا بوجودي".**[2]

ـ لم يتوقف ديكارت عند هذا الحد بل استمر في طرح بعض الأسئلة حيث يرى أنه ما دمنا واثقين أننا موجودون يترتب علينا أن نبحث أي شيء نحن يقول ديكارت **" لكي أسائل نفسي ماهي هذه الآنية التي أعرف أنها موجودة ؟ فإنه عليا أن أكون على حذر من أن آخذ شيء أخر على أنه أنا نفسي ، لكي أعرف ذلك ، سأنظر فيما كنت أعتقد فيما مضى**

1- د نجيب بلدي ، ديكارت ، الطبعة 2، دار المعارف بمصر ، القاهرة (مصر) ، 1968، صفحة 93
2- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 92

انه آنيتي وذاتي وسأستبعد من فكرتي القديمة كل ما قد أصبح مشكوكا فيه للأسباب التي أبديتها".

ـ أي أن ديكارت أعاد النظر من جديد ، فيما كان يعتقد به حيث يستبعد جميع الآراء القديمة وكل ما تزعزعه أسباب الشك التي ذكرها آنفا .لكي يبقى إلا ما هو يقيني تام ،ولكي يبحث على حقيقة آنيته .

ـ ليكمل ديكارت تأمله قائلا **"لقد كنت أعتبر نفسي إنسانا , لكن ماذا كنت أعني بالإنسان ؟هل أقول أنه حيوان عاقل ؟.....ولكي بسط من هذا أقول أنني كنت أعتبر نفسي أن لي وجها ويدين وكان ذلك الجهاز المؤلف من لحم وعظم ، وعلى نحو ما يبدو من جسم الإنسان هو الذي كنت أدلو عليه إسم البدن .....أستطيع أن أؤكد أني أملك شيئا من هذه الأشياء التي قلت أنها من لوازم الجسم؟ كلا ما دمت لا أدري هل توجد أجسام .... لننتقل**

الى الأفعال التي كنت أرجحها الى النفس : هل فعلا فعل التغذي وفعل المشي هما في ذاتي؟ لا أستطيع أؤكد أكثر من هذا ، لأن هذه الأفعال تقتضي جسما . وفعل الإحساس ؟ لا هو الآخر يقتضي جسما وفعل التفكير ؟ نعم ففي هذه المرة نجد شيء هو الوحيد الذي يستطيع أن أؤكد أنه في ذاتي ولست أريد هنا أن أقرر شيء لا أكون مستيقنا منه ، وأنا لست مستيقنا إلا من فكري . إذن فكل ما أستطيع أن أقول الآن عن نفسي هو أنني شيء

مفكر ..... وإن شيء يفكر هو شيء يشك ويفهم ويتصور ويثبت وينكر ويريد ويتخيل ويحس : لأن جميع هذه الأفعال إنما هي أنحاء من أنحاء التفكير ".[1]

ـ ينتقل ديكارت هنا الى المعرفة الحدسية المباشرة لوجودنا ، معرفة لطبيعة بسيطة وهي آنيتنا وذاتنا المفكرة .

يؤكد ديكارت في قوله حين ندرك وجودنا . ليس هو الوجود الجسمي بل هو الوجود الفكري فعندما أدرك نفسي كمفكر بالفعل أدرك حقا وجودي ، بل أدرك زيادة عن ذلك آنيتي كلها في طبيعتها وماهيتها ، فأنا أفكر بمعنى أني موجود يتعقل ويشك ويثبت وينفي ويريد ولا

يريد ويتخيل ويحس أيضا . فكل هذه الواقعة الأصيلة البديهية التي لا ترد ولا تدفع التي ستبقى بعيدة عن الشك مهما بلغ . والتي سيقام عليها بناء فلسفة مستقبلية .

1- رونيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، الرجع السابق ، صفحة 86- 87- 88

وربما ظن نص هذا التأمل الثاني أن مقصد ديكارت أن يثبت التفرقة بين النفس والجسد أو التميز بين الفكر والبدن ، حيث أثبت أن وجود الفكر أشد وثوقا من وجود الجسم ، فديكارت بعدما تم له اليقين بأنه موجود مفكر تأكد أنه يستطيع أن يتصور أنه لا جسم له على الإطلاق وإذن فالآنية أو الذات المفكرة موجودة حتى لو فرضنا أن البدن غير موجود .[1]

وعليه فإن النفس جوهر صفته المتميزة هو التفكير ويمكننا هذا اليقين الأول من تمييز النفس من تلك الكائنات التي اعتدنا الثقة فيها على أساس إحساسنا بها وتخيلنا لها ، ونقصد بذلك الأجسام بوجه عام وجسمنا بوجه خاص . وعلى ذلك ينبغي في ضوء هذا اليقين الأول تميز النفس من الاجسام وتميز أنا من جسمي .

2- التمييز بين الأنا المفكر والأنا الممتد : (التمييز بين النفس والجسم)

- قد يبدو تافهة هذه المحاولة للتمييز ما كان ثابت في الوجود واليقين وما افتقر الى إثبات وكان من المحتمل عدم وجوده . لكن اليقين الأول الذي أثبت وجود النفس ومعرفتها لذاتها أعد أيضا معرفتها لكل ما يمكن تصوره مرتبطا بها وإن لم يثبت وجوده بعد فلا بد من تمييز النفس من الجسم . فإننا ندرك الأجسام لو تمثلناها في صورها الهندسية وحدها ، أي كامتداد وشكل وعدد وحركة أو إمكان حركة والواضح أنه لا شيء من هذا ينتمي الى التفكير أو ما شابه على نحو ما ، فالتفكير وعي النفس لذاتها ولموضوعاتها ، ولا امتداد في هذا الوعي كما لا شكل فيه ولا حركة .[2]

- إن المعرفة اليقينية عند ديكارت لا تتم إلا بالتحرر من الحس والخيال ، والحس والخيال ليسا من الأمور التي يسهل التحرر منها كليا . ولا سبيل الى إبعاد هذا الخطر إلا بمواجهة الخطر ذاته ، وذلك بالنظر الى موضوعات الحس هذه التي نؤمن بها . ولنأخذ أي موضوع

1- د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، دار مكتبة الهلال ،بيروت (لبنان) 1989،صفحة 92- 93 94 (بتصرف)

2- د نجيب بلدي ، ديكارت ، الطبعة 2، دار المعارف بمصر ، القاهرة (مصر) ، 1119، صفحة 98-99

منها ونفحص عن معرفتنا له . يقدم كتاب التأملات لديكارت مثال مشهور **لقطعة شمع العسل** ومظاهرها المتغيرة ، ولكي يضرب هذا المثال كان هدفه منها توضيح هذه النقطة ما الشيء الذي يظل على ما هو عليه طوال الوقت ؟

ـ يعتبر هذا المثال أحد الموضوعات الحسية التي إستدل بها ديكارت في تأمله الثاني يقول ديكارت **" لنأخذ إذا قطعة من شمع العسل قطفناها الآن من خليتها فلامسنا ملاستها ، وشممنا عبيرها وتذوقنا حلاوتها ، وأبصرنا لونها وربما سمعنا ما قد تحدثه من صوت لو نقرنا عليها بأصابعها . لنقربها الى النار حتى تبدأ في الإحتراق . ولنمضي في هذا حتى لا يبقى من مظهرها السابق شيء . إنها قد اسودت وضاع عبيرها وأصبح لا يسمع صوتا لها ولم تعد صالحة للأكل ولنستمر في عملية الاحراق حتى لا يبقى شيء من مظهرها الحسي على الإطلاق "** .[1]

أما تزال قطعة الشمع باقية بعد هذه التغيرات كلها ؟ لابد من التسليم بأنها باقية ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك أو يحكم حكما مخالفا وإذن فما هو الشيء الذي كنا نعرفه في قطعة الشمع هذه معرفة شديدة التمييز ؟ لاشيء يقينا من كل ما لاحظناه فيها عن طريق الحواس ؛ إذ أن ما وقع منها تحت حواس الذوق أو الشم أو البصر أو اللمس السمع قد تغير كله ، في حين أن الشمع نفسها باقية .[2]

لو فحصنا هذا الأمر مليا وجدنا أنفسنا مضطرين في النهاية الى إبعاد جميع صفات الجسم الحسية وأن الحس والخيال وحدهما لا يكفيان لدراسة هذا الجسم دراسة عملية بل لا بد من

1- د نجيب بلدي ، ديكارت ، المرجع السابق، صفحة 99-100

2- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، ترجمة عثمان أمين ، المركز القومي للترجمة ، 2009 ، صفحة 105

معرفة الجسم معرفة فكرية خالصة متحررة من عيوب الحس و الخيال وذلك عن طريق العقل وحده القادر على تبيين الجسم وعلى معرفة طبيعته . [1]

وعليه نستنتج من مثال شمع العسل الذي استدل به ديكارت ما هو إلا إثبات لما توصل اليه من مبدأ أو كما يسميه بالكوجيتو **" أنا أفكر إذن أنا موجود "**أن النفس شيء والجسم شيء آخر . ولهذا فهو يميز تمييزا حاسما بين النفس والجسم في الإنسان ، ويرى أن كلاهما يؤلف جوهر ا مستقلا عن الآخر ومغايرا له ، فالنفس جوهر ماهيته الفكر والجسم جوهر ماهيته الإمتداد ؛ وهو يتخذ شكلا معينا ووضعا محددا كسائر أجزاء العالم المادي ؛ ويحكمه قوانين الطبيعة التي تحكم العالم المادي . وقد جاء ديكارت بأدلة ثلاث لإثبات التمايز الحاصل بين النفس والجسم ألا وهي :

أولا دليل الآنية :

- يرى ديكارت في كتابه المبادئ وكذلك كتابه التأملات ، أنه بإمكننا الإفتراض بأنه لا جسم لنا ، ولكنه لا يمكننا أبدا الشك في ذلك أبدا أن نتجاهل أنفسنا كنفس مفكرة ولا يمكننا الشك في ذلك . وبهذا تكون آنيتنا موجودة بالرغم من إفتراضنا لعدم وجودنا كجسم مادي .

ولعل ديكارت إستفاد دليله من إبن سينا الذي كانت كتبه مترجمة الى اللاتينية وذلك قبل ديكارت حيث نجد له الأثر من خلال برهان إبن سينا على" **الرجل المعلق في الفضاء "** في محاولاته التدليل على الوجود النفس وخلودها فقد إفترض وجود رجل معلق في الفضاء لا علم له ولا ادرية له بأي عضو من أعضاء جسمه ، ومع ذلك فقد راى بأنه يحس بوجود آنيته أي وجوده كنفس لا كجسم .

1- رينيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ،المرجع السابق ، صفحة 100 (بتصرف)

ثانيا وحدة النفس وعدم قابليتها للقسمة :

وأساس هذا الدليل هو أن البدن مثل كل الأجسام قابلة للقسمة ، وهو يتألف من أجزاء عديدة ظاهرة للعيان ففيه الذراعان والساقان والقدمان والعينان والأذنان ... الخ ولو فقد الإنسان أي عضو من أعضائه كالساقين أو اليدين أو العينين . أو كل هذه مجتمعة فإنه يبقى موجودا ،

ومحتفظا بآنيته كإنسان مفكر وعليه فإن فقد الإنسان جزءا من بدنه لا يؤثر على كيانه كإنسان مفكر موجود.

أما في حال النفس فالأمر مختلف تماما كل الإختلاف لأن النفس وحدة واحدة في الإنسان ، بالرغم من تعدد وجوهها أو مظاهر نشاطها . فإذ قالت أنا أريد ، أنا أضحك ،أنا أكتب ، أنا اقرأ أنا أتخيل .... الخ. فلا يعني ذلك على الإطلاق أن النفس التي تريد هي غير النفس التي تقرأ التي تضحك أو التي تكتب أو التي تحس أو تتخيل وإنما نفسي واحدة بكليتها وهي التي تقوم بهذه الأفعال قاطبة . ودليل وحدة النفس هذا نجده أيضا عند ابن سينا الذي يرى أن النفس تتبدّى واحدة بالرغم من أن لها قوى مختلفة كالغضبية والشهوانية ...الخ . فقولنا أننا أحسسنا فغضبنا فنهضنا لا يعني أن شيئا منا قد أحس وشيئا آخر قد غضب وشيئا آخر قد نهض وإنما الذي أحس هو نفسه الذي غضب ونهض .

ثالثا دليل إدراك النفس للمعقولات البسيطة :

وهذا الدليل يقوم على ملاحظة أن النفس تتعقل بالفطرة . مبادئ أولية بسيطة لا تنحل الى أجزاء أكثر منها بساطة ولا تتمظهر في شكل مادي أو أية صورة ومن الطبيعي أن تكون النفس الحاملة لهذه البسائط وجوهر بسيط غير قابل للقسمة . [1]

1- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان)، الطبعة 3 ، 1996 صفحة من 118 الى 123 (بتصرف)

ومن كل هذه الحجج التي أوردها ديكارت لإثبات التمايز والتغاير بين النفس والبدن نستنتج أن النفس ليست عرضة للفناء كالجسد وإنما هي خالدة ، والسؤال الذي يمكننا أن نطرحه من خلال إستنتاجتنا لكل ما سبق هو : إذا سلمنا بأن النفس جوهر مستقل ومغاير تماما للبدن ، فكيف يمكن يا ترى للنفس والبدن المتمايزان في طبيعتهما أ يتحدان ليكونا موجودا واحدا هو الإنسان ؟

يرى ديكارت رادا على ذلك أن الجسم الإنساني ظاهر للعيان وهو خاضع في كل ما يطرأ عليه لقوانين الطبيعة من غير حاجة لتفسير ذلك . أما النفس الإنسانية فهي موجودة في **الغدة الصنوبرية** ، وكذلك ما يسمى بالارواح الحيوانية وهي كناية عن جزئيات صغيرة ودقيقة من الدم وتتحرك بسرعة داخل الأعصاب يتم من خلالها إتصال النفس بالبدن فهي

ـ أي الأرواح الحيوانية ـ تتلقى من النفس الأوامر فتوصلها الى الأعصاب والعضلات ، فيتحرك الجسم وفقا لطبيعته لتنفيذها أما دور الجسم ووظيفته فإنه يقوم بتبليغ النفس جميع ما يطرأ عليه من أحداث بواسطة الأعصاب فتترجمها النفس الى أفكار فلو جرح إصبع لنا مثلا فإننا ندرك الجرح بنفوسنا ولكننا ننتبه إليه عن طريق الألم الحسي الحادث على الجسم ، حيث يشير هذا التأثير المتبادل بين النفس والبدن على أن إتحادهما هو إتحاد جوهري لا إنفصام فيه إلا بعد الموت . [1]

وعليه فإن محاولة ديكارت في إثبات وجود **"الأنا المفكر"** تترتب عليها مجموعة من النتائج هي :

أولا : إن وجود الكوجيتو على هذا النحو يؤكد بأن جميع الأشياء التي ندركها في وضوح وتمييز هي أشياء حقيقة .

1ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة 3، دار الطليعة ، بيروت (لبنان)، 1996 ، صفحة 124 - 125 (بتصرف)

ثانيا : إن كون الكوجيتو منطلق الحق واليقين بحيث لا يستطيع الشكاك زعزعته مها بلغت فروضهم ، حذا بديكارت الى أن يتخذه قاعدة أساسية لتفلسف وهذا ما عبر عنه الفيلسوف في مبادئ الفلسفة بقوله **" إننا لا نستطيع أن نشك دون أن نكون موجودين ،وأن هذه أول معرفة يقينية يستطاع الحصول عليها "**[1]

ثالثا : أن" أنا أفكر فأنا موجود "تعني أنني أدرك وجودا ليس وجودا واقعيا جسميا بل وجود فكري صوري .

رابعا : أن حقيقة الكوجيتو هي إثبات التلازم بين الفكر والوجود واعتبار ديكارت أنه شيء مفكر لأنه شيء موجود ، ولأن الإنسان يفكر في كل لحظة من لحظات حياته ولا يحدث انه يكف عن التفكير إلا إذا انتهى وجوده . وقد جعل ديكارت من هذا الأخير القاعدة الراسخة والواقعة البديهية الحقيقية التي لا تقبل الشك والتي سوف يقوم عليها بناء فلسفة ديكارت برمتها .

خامسا : إن إدراك الإنسان لحظة وجوده لعالم فكري خالص ، واقتران هذا الوجود بدوام التفكير ، وما يتتبعه من حالات خاصة بالجسد كالانفعالات والأحاسيس إنما يفيد فصلا حاسما وتمييزا واضحا بين النفس والجسد . كما يفيد من جهة أخرى أن وجود الفكر أشد يقينا وثبوتا من وجود الجسد ، من حيث أن الفكر لا يدرك إلا بالفكر ذاته ، بينما لا يدرك الجسد إلا عن طريق الفكر ذاته . [2]

1- د راوية عبد المنعم عباس , ديكارت أو الفلسفة العقلية دار المعارف الجامعية, 1989 , الاسكندرية (مصر) صفحة 223

2- د راوية عبد المنعم عباس , ديكارت أو الفلسفة العقلية ، المرجع السابق ، صفحة 225

ويمكن أن نستنتج من هذا الفصل أن ديكارت استطاع أن يقدم طرحا جديدا متعلقا بمنهجه للوصول الى الحقيقة وبلوغ اليقين واعتمد بذلك على الرياضيات كضامن صدق للحقيقة ، حيث اعتبر الشك خطوة فيصلية ومحورية لبناء معارف صحيحة ويقينية لكن شكه هذا لم يكن هداما كما فعل الشكاك واللاأدريين في عصره أي الشك من أحل الشك وإنما فعال وبناء هدفه الوصول الى الدقة والوضوح في المعارف والحقائق ، وأرسى بذلك قواعد الشك المنهجي والنظر إليه على أنه جزء لا يتجزأ من الرؤية الفلسفية للفيلسوف أو من الحياة الفكرية لأي مفكر .

كما نجده قد صنع مختلف الأفكار والمصادر المعرفية في دائرة الشك والريب ، حيث أننا لا نستطيع الثقة في كل ما إعتقدناه ، كل تجربة حسية ، كل فكر يمكنه أن يوضع في أفكارنا بواسطة شيطان عبقري الذي خلق عالما وهميا سلسا جدا . الى أن وصل الى أنه يشك وأذا كان يشك إذا هو موجود على الأقل كشيء مفكر ، أي أن الشك يستطيع أن يساورك في كل شيء ، إلا في حالة واحدة ، الشك في أنك تشك لأن هذا منافي للمنطق لذلك فأنا أشك إذا أنا موجود . مناقشاته كثيرة لا مجال للخوض فيها تفصيلا ، لكن ما يميزه عن أسلافه هو أول من وضع ثنائية الإنسان من عقل وجسد والتمييز بينهما .

ويبقى هذا اللإكتشاف الذي لمع في رأس ديكارت مؤقت فعثوره على الأنا المفكر ، وتمييزه بين العقل والجسد ما هو إلا نقطة ارتكاز سينطلق منها ديكارت للوصول الى معارف أخرى مماثلة لليقين الموجود في الكوجيتو الديكارتي . فما هي نتائج هذا الانا المفكر ؟

الفصل الثالث

نتائج اكتشاف الأنا

المبحث الأول :من الانا المفكر الى الله
المبحث الثاني : من الله الى العالم

الفصل الثالث : نتائج إكتشاف الانا المفكر

- إن الفلسفة الديكارتية في تعبيرها الأصيل هو عرض لفلسفة نظامها اكتشاف الحقائق بحيث يؤدي التفكير في كل اكتشاف الى حقيقة جديدة ويتميز هذا الأسلوب الذي إتبعه ديكارت ، هو التفكير في تلك الحقيقة التي تؤدي الى الحقيقة التالية مكملة لها وتكتمل الأولى بها ، فإزاء الحقيقة الأولى التي كشفناها وعبرنا عنها بقضية **" أنا أفكر إذن أنا موجود "**

يقوم في عقل الفيلسوف سؤالان لابد الإجابة عنهما ألا وهما . هل لنا أن نثبت حقائق جديدة غير الكوجيتو ينبغي معرفتها ؟ وهل يحيلنا هذا التأمل في النفس بالخروج الى عالم الكون والوجود ؟

المبحث الأول : من الأنا المفكر الى الله

1- الله كأول إكتشاف بعد الأنا

- قد يبدو من السهل الإجابة على السؤال الأول لو لاحظنا ان قضية "أنا أفكر إذن أنا موجود" لا تعبر عن الحقيقة الأولى فحسب ، بل تشمل أيضا في ذاتها علامة صدقها وصحتها وعامل التصديق بها هو وضوحها وتمييزها وعلى هذا الأساس حاول ديكارت تحويل الكوجيتو المؤقت الى شيء دائم وأكثر شعبية . وقد شعر أنه إذا ما استطاع أن يكشف ما الذي يجعل الكوجيتو يقينيا على هذا النحو ، فإنه سيكون قادرا عندئذ أن يكشف القاعدة العامة إذ يقول في كتابه التأملات **" وإنطلاقا من ذلك يبدو لي أنه أصبح باستطاعتي أن أضع قاعدة عامة "** و تظهر قيمة هذا الكلام في أنه يحاول أن يقدم ضمانات مماثلة لليقين حول أنواع أخرى من المعرفة ، فحاول أن يقدم قاعدة عن طريق حجة على هذا النحو أنا موجود ولا سبيل الى الشك في ذلك ، ثم يقول أنا أدرك على نحو واضح ومتميز أن عبارة **أنا موجود صادقة** ليستنتج بعد ذلك أن اي شيء أدركته بوضوح وتميز سيكون حقيقيا .

ويهذا أصبحت قاعدة الوضوح والتميز هي أول قاعدة أدرجها ديكارت في كتابه مقال عن المنهج والتي أصبحت أداة قوية لإكتشاف ما يعتقد أنه سيمكنه من القفز فوق هذا اليقين الخاص المحدود الى يقين أوسع وأكثر مرونة حول أنواع أخرى من المعرفة . [1]

إلا أن تفسير ديكارت لقاعدة الوضوح والتميز ليس هو نفسه واضح تماما ، إذ أنه غير رأيه في معناها وفي أهميتها حيث يؤكد فيما بعد في كتابه التأملات أن الوضوح والتميز مصطلحان نسبيان . فما هو واضح ومتميز بالنسبة لك قد يكون مركبا بالنسبة لي .

وهذا نتيجة الشك الدائم الذي يراود ديكارت طيلة تأملاته حيث يقول **" إن التصور الواضح والجلي .....لن يكون كافيا ليجعلني على يقين من صحته إذا لي وتصورت أمرا ما بوضوح وجلاء ثم تبنت أنه خطأ ، فالشك زعزع حقائق في غاية البساطة والظهور كقولنا إثنان زائد ثلاثة هي خمسة ، ولكنه تلاشى وعي لوجودي من حيث أنا مدرك لهذا الوجود" [2]**

أي أنه ثمة ضمانات أخرى مفتقرة لهذه الحقائق أو الطبائع أو الماهيات بالمعنى الديكارتي ، ألا وهي ضمان الثبات لتصبح مضمونة الصدق راسخة مطلقة اليقين ، فصحيح أن الحقائق التي زودنا بها الحدس كشفت لنا معانيها في داخل أنفسنا ، لكن يبقى إفتراض وجود الشيطان ممكنا إذ يقول ديكارت في كتابه التأملات **" والحق إني مادمت لا أرى وجها للظن بأن هناك إله مظل يظلل أفكارنا "** وبالتالي يبقى إثباتها في الزمن بحاجة ضمان يستحق إسم الابدية ، ويلزم لها حتى تصلح أساسا لعلم ثابت ومعرفة مضمونة ودائمة . وعليه فإن

1- ديف روبنسون ، كريس جارت ، ديكارت ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة العامة لشتون المطابع الأميرية ، 2001 صفحة 65

2 - جينياف روويس لويس ، ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده حلو ، ط 4 ، منشورات عويدات ، بيروت (باريس) ، ، 1988 صفحة 48

الحقائق التي يكشفها لنا الحدس أو النور الفطري بوضوح وجلاء هي في ذاتها غير مضمونة اليقين . [1]

وتظهر أصالة ديكارت كفيلسوف ميتافيزيقي ، عندما يبحث إنطلاقا من الواقع عن حقه المطلق في عدم الشك بما قرر أنه حق ولو توقف عن التفكير فيه . أي أنه يريد أن يكشف أزلية الحقيقة عبر وجودها الحاضر ، ولكن إذا بقى إحتمال ضلال الفكر الناجم عن وجود أعمى أو مخدوع بقوة فائقة ، فلا يستطيع أن يكون على يقين أنه لن يخيب ظنه في الأمور التي تبدو له كلية وواضحة وبالتالي لن يكون الإنسان بمعزل عن الخطأ والخوف من الوقوع في ضلال الشك إلا إذا سلمنا أولا **بوجود الله** . [2]

يقول ديكارت في كتاب التأملات **" فإذا أردت أن أوسع معرفتي فأول ما ينبغي أن أفعله هو أن أستبعد بقدر الإمكان هذا السبب من أسباب الشك وأن أبحث عن وجود اله ، وإن كان هناك اله فهل في إمكانه أن يكون مضلا ".**[3]

ومعنى هذا هو أن أستوثق بما كان صادقا صحيحا ببداهة ووضوح وعلى أن هذين الأخيرين ما هما إلا علامة للحق ، ولابد كذلك أن نثبت وجود الله ولكي نعرف شيء من طبيعته وجب أن نتيقن أنه ليس مخادعا .

2- الرجوع الضروري الى *الله كجوهر ماهيته الكمال المطلق :

من الملاحظ ان ديكارت بعد أن اثبت وجود ذاته وانه شيء مفكر أو جوهر ، التفت الى البحث عما يعرض له عندما يكون في حالة تأمل من أفكار ، فوجدت في ذهنه فكرة

1- نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ، المطبعة الفسفية الحديثة ، القاهرة (مصر) 2003 صفحة 104- 105 (بتصرف)

2- جينياف روويس لويس ، ديكارت والعقلانية ، المرجع السابق ، صفحة 48 - 49(بتصرف)
3- رونيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، المرجع السابق ، صفحة 116
*عرف ديكارت الله يقول " أعني بالله جوهر غير متناهي ، أزليا أبديا عير متغير ومستقلا ، عالما بكل شيء قادرا على كل شيء وهو الذي خلقني وخلق سائر الأشياء الأخرى " من كتاب مقال عن المنهج صفحة 62

سيطرت على جميع ما عداها هي فكرة الكائن الكامل أو*اللا متناهي.[1] أي أن ديكارت ذهب الى ماهو أبعد من ذلك وانه يملك الشعور والتصور الواضح بأنه يوجد كائن كامل فلماذا لم تكن هذه الفكرة غير صحيحة ولماذا لم يكن هناك شيطان ماكر يخدعني ويضللني ، فيرى أن فكرة الكائن الكامل فرضت نفسها وهذا ما جعله يستنتج منها أنها لم تأتي إلا من كائن بقدر عظمة الفكرة لا من ماهو ناقص وحدود .

يقول ديكارت **" بحثت في الوجود فلم أجد موجودا إلا أنا ، أنا أفكرإذن انا موجود وكل موجود لا بد له من موجِد ، فمن الذي أوجدني ، ولا يجوز ان الذي أن الذي خلقني أقل مني ، لإنه لا يجوز أن يقدر الأدنى على خلق الاعلى . ولا يجوز أن يكون الذي خلقني مساويا لي ، لأنه لو كان مساويا لي ، فلماذا لم أوجده انا ونكون نحن متساويان ، إذ لا بد ان يكون الذي أوجدني اعلى مني وليس هناك أعلى مني إلا الله ".**

وعليه نقول أن ديكارت لم يكن متأكدا من أي شيء سوى أنه يشك ولهذا إعتبر نفسه يفكر وبالتبعية تأكد انه موجود . ليكون ذلك المعتقد الأساسي له ولعلم الفلسفة بشكل عام .

ولأنه شعر بالنقص في تلك المرحلة وجد ديكارت أن شعور الإنسان بالنقص ينبع من فكرته الفطرية عن الكمال وهي التي يقارن بها نقصه الكامل . ولأن ديكارت كاثوليكي ملتزم ، آمن بوجود الإله بعد تأكده من وجود الإنسان عن طريق إيمانه بكمالية الإله .

فإستدل بعد ذلك الى أن كل فكرة تنتهي الى الله هي فكرة صادقة ، لأنها صادرة من كائن كامل مطلق ، فمن المستحيل من الكائن الكامل أن يضللني أو يخدعني . لذلك إستنتج أن كل فكرة كاملة في الطبيعة الإنسانية أو تصور شيء كامل هو دليل على وجودها وصدقها . لذلك سميت بالمدرسة التصورية ، لإعتمادها على التصور كسند لصحة الفكرة ، وكأنها من لوازم العقل الإنساني من دون أن يكون العقل مصدرا لها بل حامل لها فقط فهي دليل على صحتها .

إذا فلا يبقى إلا القول أن ديكارت يقر على أن فكرة الكامل اللامتناهي قد تكونت معنا منذ الولادة .[2]

1 ـ د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، دار مكتبة الهلال ، بيروت (لبنان) ، 1989، صفحة 99
2ـ نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ، المرجع السابق ، صفحة 109 (بتصرف)

3 ـ النور الفطري كسبيل لمعرفة الله :

يرى ديكارت أن الحقائق التي يكشفها لنا النور الفطري بوضوح وجلاء ماهي إلا إنتاج فكري حين يتأمل الإنسان ذاته غير مستعين بمساعدة أنواره الطبيعية ، وهذا ما لا يقبل الشك . حيث رسم لنفسه بداية نظاما قسم فيه أفكاره الى أجناس معينة للوصول الى ما هو أجدر باليقين التام .[1]

أي عندما نظرنا في التأمل الثالث وجدناه يقسم أفكار النفس الى ثلاث أنواع جاءت كالآتي :

أ- الأفكار الخارجية أو العارضة :

ويقصد بها الأفكار الحسية أو ما ينطبع في عقولنا حين ندرك الأشياء المادية الخارجة من الحواس الخمس ، ومن أمثلتها اللون والطعم والرائحة والذوق وإعتقد ديكارت أن هذا النوع من الأفكار لا قيمة له في بناء صرح معرفي دقيق وموضوعي لأن مصدرها الخبرة الحسية ، والحواس كما رأيناها خادعة ومضللة ولا يمكنها أن تصلح وسيلة لمعرفة دقيقة .

ب ـ الأفكار الخيالية أو المصطنعة :

ويقصد بها تلك الأفكار نصل إليها بفعل المخيلة . حيث يعتمد على خيال الإنسان وقدرته على إيجاد أفكار لا وجود لها في الواقع رغما أن عناصرها موجودة في هذا الواقع ، ومن أمثلتها ، فكرتي عن حيوان له وجه إنسان كأبي الهول بجوار أهرمات الجيزة ، ولا يقيم ديكارت وزنا لهذا النوع من الأفكار التي تعتمد على المخيلة ، ومن ثم على الحواس أو على كلاهما وعليه فلا قيمة لهما في مجال المعرفة الحقة ، كما أنها ضمانات لوجود العالم الخارجي الذي لا يمكن تسويغه أو تبريره .[2]

1 ـ رونيه ديكارت ، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الاولى ، المرجع السابق ،صفحة 117

2- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، دار الوفاء للطباعة والنشر ،الاسكندرية (مصر) صفحة 91- 92

ج ـ الأفكار الفطرية

وهي التي نتعرف عليها بمجرد النظر في صيغتها ، مثل أفكارنا عن الشيء والوجود والنفس والحقيقة والإمتداد وعن الله أولا واخيرا وهذا النوع من الافكار هو أساس المعرفة الموضوعية الدقيقة .[1]

وعليه فإن ديكارت من خلال تقسيمه لمصادر المعرفة الإنسانية يثبت أنه لا وجود للنفس سوى أفكارنا فلا مفر من النظر في هذه الأفكار مرة اخرى ، وإعتبارها سبيلا لكل معرفة يقينية . ويؤدي بنا هذا الوجود الموضوعي كما يسميه ديكارت للافكار و يوصلنا الى أن نتأمل في فكرة الله وأن نحاول تفسيرها من جهة حقيقتها الموضوعية ، ففكرة الله هي كما نلاحظها هي ذلك الكائن الكامل الأزلي اللامتناهي لديه المعرفة والقدرة الكاملتان وهو خالق جميع الأشياء . وتلك الفكرة تنبع من النفس نبوعا طبيعيا ، فيكفي لصدورها أن نفكر في أنفسنا وفيما يحمله وجودنا من نقص ، وفيما يعرض لتفكيرنا من شك وخداع ثم فيما نحن حاصلون عليه من حقيقة وكمال ورغبة في تجنب مواضيع النقص والشك والخداع يكفينا هذا التفكير في أنفسنا لنصل على نحو مباشر الى التفكير في كائن كامل . وبذلك أصبحت فكرة هذا الكائن هي الأولى التي مثل للنفس مثولا طبيعيا نابع من النور الفطري مع فكرة النفس عن ذاتها ووجودها .[2]

وبذلك نستنتج أن وجود فكرة الكمال فطرية بمعنى أنها واضحة وبسيطة ، عرفها الأنسان عن طريق الفطرة أو الحدس المباشر ، أي أنها فكرة طبيعية مركوزة في نفوسنا ، ونراها في ذهننا أو عقلنا ، دون البرهنة عليها كسائر الأفكار الفطرية .

1- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، المرجع السابق ، صفحة 92

2 ـ د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق ، صفحة 103- 104

4 ـ المنهج الديكارتي في إثبات وجود الله :

إستخدم ديكارت للبرهنة على وجود الله منهجا مغايرا لكل مناهج الفلاسفة السابقين عليه ، حيث كان الفكر الفلسفي قبل ديكارت ، يحاول إثبات وجود الله عن طريق إثبات وجود العالم الخارجي أولا و الإستناد عليه ، أما ديكارت فإنه عندما أثبت وجود أنيته وبأنه كائن أو جوهر مفكر ، وجد لنفسه أفكارا فطرية لا مجال للشك فيها ، وكمها فكرة الكمال اللامتناهي .[1]

وعليه فقد سلكت فلسفة ديكارت مسلكا فريدا من نوعه في التاريخ الفلسفي ، حيث سار هذا الاخير من النفس الى الله مباشرة وبغير واسطة ، ولم يرد أن تكون معرفتنا لوجود الله عن طريق وجود العالم ، كما فعل غيره من الفلاسفة واللاهوتيين ، بل رأى على عكس من ذلك وأن معرفة الله تفتقر الى وجود الله سندا لها [2].

ـ وإذا ما تمت البرهنة على وجود الله ، فيصبح الخروج ممكنا من النفس الى العالم والكون والوجود ، فالله الذي نبرهن على وجوده ؛ هو الكائن المطلق القادر على إيجاد العالم والكون بالمعنى الصحيح ، هو الوجود الكامل الذي لا يخدع مخلوقاته . وعلى ذلك كانت تلك البرهنة هي الوسيلة الوحيدة للإجابة عن السؤال الثاني الذي وضعناه بصدد كيفية الخروج من النفس والدعامة الوحيدة التي تضمن اليقين الجلي والمتميز الذي كشفناه عن النفس وعالمها الداخلي [3].

5 ـ أدلة ديكارت على وجود الله :

بعد أن إستعرض ديكارت فكرته الممتازة عن الكائن اللامتناهي ، والذي قصد فيها أن في ذهنه صورة عن كائن كامل لا نهاية له ، طرح في نفسه تسائل . من أين جاءته هذه

1ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة 3، دار الطليعة ، بيروت (لبنان)، 1996 ، صفحة 130
2ـ د أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ، مؤسسة ديمو برس للطباعة والنشر ، 2011 ، بيروت (لبنان) ، صفحة 87
3ـ د نجيب بلدي ، ديكارت ، الطبعة 2، دار المعارف بمصر ، 1119 ، القاهرة (مصر) ، صفحة 105

الصورة ؟ يستحيل أن تكون قد نبعت من نفسه ، فلا يمكن أن ينشأ كائن لا نهائي مطلق من كائن نهائي محدود . من هنا كنت أول إنطلاقة لديكارت لمحاولة إثبات وجود الله فماهي الدلائل الذي تثبت ذلك ؟

ـ يرى ديكارت أن هناك ثلاث أدلة كل منها كافٍ لإثبات وجوده ألا وهي :

الدليل الاول:

هو دليل مستمد من قاعدة الشك نفسها ويعرف بالدليل الأنطولوجي ، يعتمد هذا الدليل على البرهان السببي أو كما يسميه ديكارت" **بالسبب الكافي "** . أي أنه إذ وجد أي شيء بلا بد من وجود آخر هو سببه بصورة مباشرة أو غير مباشر ، وقد أخذ الفيلسوف صفة النقص كإثبات كافي والذي يظهر بوضوح في الشك الذي هو نقص أو قصور عن بلوغ الحق ، فما كنت اعرف أ،ي كائن ناقص متناهي لو لم تكن لدي فكرة الكائن الكامل أو اللامتناهي ، فتساءل ديكارت من أين جاءته هذه الفكرة فيقول : أنه لم يستطع نفسه ان يخلق هذه الفكرة مادام قد تبين له أنه موجود ناقص متناهي والعلة التي تؤثر لابد أن تكون لها من الحقيقة والكمال مقدار ما بمعلولها على الأقل والحق أني ما كنت **والحق أني ما كنت اشعر بنقصي ونهائيتي لولا وجود فكرة الكائن الكامل اللامتناهي . ولما كنت ناقصا فإني بذلك لست مصدر الكمال .** حيث يقول ديكارت بصريح العبارة **" إني كائن ناقص لأني اشك والشك مظهر من مظاهر النقص ، فما كان لي أن أعرف أني ناقص إلا إذا كانت لدي فكرة الكمال مطلق . ولا يعقل ان تكون فكرتي عن الكمال المطلق قد تكونت في عقلي نتيجة تكبير لأنواع الكمالات الناقصة لم لم يضعها في نفسي إلا موجود كائن لا متناهي ، هذا الموجود اللامتناهي هو الله "[1].**

ـ وعلى هذا النحو نستطيع أن نقول أن ماهية الله عند ديكارت تقتضي الوجود ، الوجود الكامل الذي يملك كل الكمالات ، هو الوجود الوجودي اللامعدومي ، إذا فالله موجود .

1- الشيخ كامل محمد محمد عويضة ,ديكارت رائد الفلسفة في العصر الحديث ،الطبعة الاولى, دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان)، 1993،صفحة61

ويمكن صباغة هذا الدليل على هذا النحو :

1- الله هو الكائن الكامل هو الكائن الحائز على جميع أنواع أو صفات الكمال (مقدمة صغرى)

2- الوجود أحد أنواع أو صفات الكمال (مقدمة كبرى)

3- الله أو الكائن الكامل موجود (نتيجة) [1].

الدليل الثاني :

أما الدليل الثاني فيستمد من الدليل الأول ويسميه بعض الباحثين مثل " فيشر" بالدليل الإنساني أو التجريبي . ويدور هذا الدليل حول ما ذكرنا سابقا بوجود أفكار فطرية في النفس الإنسانية ومن جملتها وجود أفكار الكائن الكامل اللامتناهي الحائز على جميع صفات الكمال . فنحن نتساءل عن مصدر فكرة الكائن الكامل اللامتناهي في عقل الإنسان ؟ هل الإنسان نفسه ؟ ليس هو بالطبع لأن الإنسان الناقص يشك ويظن ويخطأ ، ليس كاملا فضلا عن امتلاك الإنسان لفكرة الكائن الكامل هو سبب في شعوره بالنقص .

واختصر ديكارت أفكاره في هذا الدليل كالآتي :

- لا أتصور أنني خلقت نفسي بنفسي وإلا لوهبتها كل صنوف الكمال وبرأتها من كل نقص ثم إن لكل معلول علة ، توازيه في رتبة الشرف إن لم تكن أفضلها ، وعلى هذا لابد ان تكون هذه الفكرة أي فكرة الكائن الكامل ، قد صدرت من علة كفؤ لها ، أي عن الوجود الحائز بالفعل على جميع صفات الكمال وهذه العلة تجعلني أعرف بوضوح أن فكرة الكمال ليست في حقا بالفعل ، والتالي لت قادرا أنا نفسي أن أكون أنا علتها ، إقتضى جبرا ان يكون هناك موجود أخر هو علة هذه الفكرة .

- إن فكرة اللامتناهي سابقة عندي لفكرة المتناهي ، أي أن الله سابق لذاتي ، وإلا كيف اعرف أني أشك وأرغب ، أني أني شيئا ينقصني وإني لست كاملا بقياس إلا ما في طبيعتي من عيوب . فحين أمعن النظر الى نفسي ، لتبين أني شيء غير تام ومعتمد على غيري ،

1- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ، الطبعة 3، دار الطليعة ، بيروت (لبنان)، 1996 ، صفحة 131-132

بل أتبين أن الذي أعتمد عليه يملك في ذاته كل الامور التي اشتقاق إليها ، وأوجد في نفسي أفكارا عنها وبالتالي ففكرته موجودة في ذهني الحائزة على جميع الكمالات التي تفطر في أذهاننا هذا الإله المنزه من كل عيب والمبرأ من الشوائب والنقص . إذا **" فخالقي كامل وهو علة وجودي"** [1].

الدليل الثالث :

ـ ويمكن أن نسميه بدليل "الخلق المستمر" وهذا الدليل يؤيد الدليل الثاني ويكمله . فإذا كان الدليل الثاني يبحث عن السبب الحقيقي لوجود فكرة الكائن الكامل في ذهن الإنسان ، فإن هذا الدليل يبحث عن السبب الحقيقي لوجود الإنسان والعالم وإستمرارهما .

إن إستمرار وجود الإنسان في الزمن ككائن مخلوق حي يحتاج أيضا الى قوة تكون هي السبب وراء هذه الإستمرارية والخلق الدائم في كل لحظة ، ولما كان الله هو الذي أوجد الإنسان أو خلقه لذا فإن الله هو الذي يخلق الإنسان في كل لحظة خلقا جديدا .

ومعنى هذا أن مجرد وجود الإنسان أو خلقه وكذلك وجود العالم أو خلقه دليل على وجود الله ، وإن إستمرار وجوده وكذا إستمرار وجود العالم أو خلقه دليل آخر على وجود الله .

يقول ديكارت في تأمله الثالث من كتابه التأملات **"أنا لا أعتقد بأنه يمكن للمرء أن يشك في صحة هذا البرهان ـ (أي برهان الخلق المستمر) ـ إذ إنتبه الى طبيعة الزمان أو الى طبيعة مدة حياتنا ، لأن أجزاء الزمن لا يعتمد بعضها على البعض الآخر ولا توجِد بعضها البعض الآخر ، وإنه لا يلزم من كوننا موجودين الآن أن نكون موجودين في لحظة تالية ، إذ لم تستمر بعض العلل ، أي نفس العلة التي أحدثتنا .... ونحن نعرف بوضوح أنه ليس فينا قوة نستطيع ان نحافظ بها على بقائنا ولو للحظة واحدة .... لذا لاشيء يةجب أن أوجد الآن إذا كنت موجودا منذ لحظة ، ما لم توجدني علة في هذه اللحظة وتخلقني مرة ثانية ....."**.

1ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 1 14 - 142 - 143 (بتصرف)

ـ ونجده كذلك مع العالم فإن الله قد صنعه منذ البدأ على ما ينبغي أن يكون عليه . فإن العمل الذي يحفظه به الآن هو نفسه العمل الذي يصنعه به ما دام أنه حين أقام قوانين الطبيعة صخرها لتعمل على مقتضى عادتها . إذا فإن المرء يستطيع أن يعتقد دون جحود بمعجزة الخلق ، فإنه بذلك فقط تستطيع كل الأشياء التي هي محضة مع الزمن أن تصير على ما نراها الآن كدليل الصانع على صنعته .

ـ لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان الله هو الذي يخلق الإنسان في كل لحظة حتى يأمن له إستمرار وجوده . فكيف إستطاع الله الحفاظ على وجوده أكثر من جميع البشر مع أنه يعيش في زمن أو هو القائم فيه ؟

فإجابة ديكارت على ذلك ؛ هو أن الله بالرغم من انه خالق للزمن ولكل شيء فهو خارج عن نطاق الزمن ، وبالتالي لا يمكن أن يكون أسيرا لجزئياته ، إن الله كائن لا متناهي مطلق الكمال وليس كائنا محدودا بل إن الوجود الدائم أو الخلود الأبدي هو أحد صفاته ، لأنه من الصفات الكمال ومن هنا نستنتج أن الله علة وجوده أيضا أي أنه علة ذاته ، فالله ليس فقط مقدمة منطقية إنما له من العظمة والقدرة ليمنح نفسه الوجود وليس سببه للأشياء فقط [1].

ـ وهكذا نرى أن جميع أدلة ديكارت على وجود الله تستند الى فكرة الكائن الكامل الموجود في الذهن . وقد أنتقد فلاسفة كثيرين لفكرة الكائن الكامل ومنهم غاساندي الذي نفى بشدة إمكانية معرفة أي شيء عن الكائن الكامل معرفة واضحة فقد رأى أن فكرة الله الكامل هي فكرة غامضة ، ولا قيمة لها من الناحية العلمية ، لأنها لا تقوم على أساس متين .

وقد قال ديكارت رادا على ذلك بأنه ؛ كما أن الرجل الجاهل الذي لا معرفة له بعلم الهندسة تكون لديه فكرة على المثلث بصفة عامة ، وإن لم يكن يعرف من قوانينه شيئا ، فكذلك نحن نعرف الكائن الكامل بوجه عام وإن كانا لا نعرفه معرفة تامة ودقيقة .

ـ ويرى البعض الآخر أن فكرة الكامل المتناهي هي من صنع العقل الإنساني ، ألفها من أفكار عديدة كسائر الأفكار الخيالية التي ألفها كفكرة الغول والعنقاء والحصان المجنح .

1ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 143 - 144 - 145 (بتصرف)

فجواب ديكارت على ذلك أن فكرة الكائن المتناهي فكرة من أبسط وأوضحها وهي لا تقبل خلطا أو تأليفا ، فالإنسان يملك القدرة على إكتشافها بمحض ملكة التفكير لأنها فكرة موجودة بالقوة لدى الإنسان منذ الولادة .

أما إذا تساءلنا أيضا كيف يمكن للعقل المحدود أن يتصور العقل اللامحدود في الكمال ؟

فجواب ديكارت على أن العقل لا يتصور الكائن اللامتناهي عن حقيقته أي يتصور إحاطة وشمول وإنما يتصوره بصورة تناسب طبيعته وملكاته المحدودة ، فنحن نلاحظ أن العقل يتصور الجبل أو السهل دون الإحاطة به من جميع جوانبه [1] .

وعلى ضوء ما سبق عرضه تتضح لنا عدة أمور هي :

أولا: أن فكرة الكائن الكامل اللامتناهي فكرة وثيقة الصلة بنا منذ بداية تفكيرنا . فهي التي نعرف بها مدى النقص والتناهي الذي يكتنفنا ، كما نعرف من خلالها أيضا أننا مخلوقات ذات أحول نفسية تشك ، وتنفي ، وترفض ، وتقبل ، وعلى هذا فإن فكرة وجود الكائن الكامل هي منبع معرفتنا بطبيعتنا المنطوية على النقص المتناهي .

ثانيا : أن هذه الفكرة التي فطرنا عليها هي من أشد الافكار جلاءا ووضوحا وتميزا لأنها تنطوي على قدر من الحقيقة أكثر مما تنطوي عليه أي فكرة عداها . انها فكرة الكائن الكامل الموجود بذاته الذي خلق العالم المتناهي .

ثالثا : أن فكرة الكامل اللامتناهي فكرة بسيطة لا تأليف ولا تركيب فيها من حيث أنها تمثل موجودا واحدا حاملا على جميع الكمالات ومهما أوتيت من قدرة فلا أستطيع أن أنقص أو أزيد فيها شيئا .

رابعا : أن فكرة الكائن الكامل الواضحة المتميزة البسيطة هي فكرة فطرية في النفس [2].

1- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 145 - 146 - 147 (بتصرف)

2- د راوية عبد المنعم عباس , ديكارت أو الفلسفة العقلية دار المعارف الجامعية, 1989 , الاسكندرية (مصر) صفحة 232- 233

وعليه فبعدما أثبت ديكارت وجود نفسه كجوهر روحي ، ثم صعد بنفسه الى السماء فأثبت وجود الله تعالى بأدلة وجودية صبغت بصفات الكمال واللانهائي ، ثم هبط من السماء الى الارض بعدما تأكد أن الله هو ضامن صدق كل الحقائق الكامل الذي لا يمكنه أن يخدعنا أو يوقعنا في ضلال . أصبح من الميسور لديكارت إدراك العالم الخارجي . فكيف يعينا اليقين بوجود الله على الحكم بوجود العالم الخارجي ؟

المبحث الثاني : من الله الى العالم

1- العالم كثاني إكتشاف بعد الأنا

- إستطاع ديكارت في هذه المرحلة أن يثبت أنه موجود وأن الله موجود يقينا ولليقين بهذا الوجود منزلة رفيعة عنده فمن دون الله كان سجينا في الكوجيتو ولكن بوجوده يستطيع أن يعرض الهوة التي حفرها الشك بين أفكاره وبين الأشياء . وبوجوده أصبح الإطمئنان بوجود العالم الخارجي أمرا ميسورا . فكيف إستدل ديكارت على ذلك ؟

- بعد أن إستدل ديكارت عن فكرة الذات وفكرة الله ووجد زيادة على ذلك طريقا يوصله الى الأشياء الخارجية وهذا ما يتضمنه مبحث التأمل الخامس ، فيرسم في هذا التأمل الخطوات التي مر بها وصولا الى فلسفته وهي ثلاث خطوات .

الأولى : السير الى معرفة الذات الإنسانية

الثانية : الإنتقال من معرفة الذات الى معرفة الله

الثالثة : الوصول من معرفة الله الى معرفة العالم

والحق أن ديكارت يريد أن يجعل من معرفة الله في هذا التأمل وسيلة الى معرفة العالم [1].

فبعد أن يطمئن ديكارت الى وجود الله وصدقه ، ينتقل الى وجود العالم الخارجي ويسأل نفسه : هل الماديات موجودة ؟ فيجيب بالإيجاب ويقدم الأسباب . فأولا هذه الاشياء ممكنا والله يستطيع إحداث الممكنات ، ثم إن في قوة حاسة هي قوة إنفعالية تتطلب قوة فعلية تثير فيها أفكار المحسوسات ، وهذه القوة الفعلية ليست فيّ ، فإني جوهر مفكر ، إذن فهي خارجة عني. على أنها قد تكون إما جسما حاصلا بالذات على أن أتصوره في المحسوسات أو تكون مصدرها الله . وهذا ما سنعرضه لاحقا في أدلة العالم الخارجي [2]

1- د راوية عبد المنعم عباس , ديكارت أو الفلسفة العقلية ، المرجع السابق ، صفحة 192

2- د يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، كلمات عربية للطباعة والنشر ،القاهرة(مصر)، صفحة85

2- أدلة وجود العالم الخارجي :

يقدم لنا ديكارت دليلين على وجود العالم الخارجي أو كما يحلو لبعض تسميته بالجوهر المادي ألا وهما :

الدليل الأول : الميل الطبيعي أو النفسي

ـ ومعناه أننا نحس في نفوسنا ميلا طبيعيا قويا للتسليم بوجود العالم الخارجي وهو ميل دائم لا يخضع لإحساس عابر أو ميل مؤقت ، لأنه من الله الثابت الأزلي وبما أن الله يملك كل صفات الكمال ، من بينها صفة الصدق المطلق . فمعنى ذلك أن ميلنا بالإعتقاد بوجود العالم الخارجي هو ميل صادق ويجب ألا يغامرنا الشك في صحة هذا الإعتقاد .

يقول ديكارت في كتابه المبادئ **" ويصح لي أن أقول أني أقبل أن أعرف الله ما كان بسعي أن أعرف شيئا أخر معرفة كاملة . والآن وقد عرفته سبحانه قد تيسر لي السبيل الى إكتساب معرفة كاملة لأشياء كثيرة ولا تقتصر هذه المعرفة على الأمور المتصلة بالله ، والأمور العقلية الأخرى ، بل تناول ايضا الأمور المختصة بالأشياء الجسمانية "**[1] .

ويقول في موضع أخر من كتابه التأملات **" بعد تأكدي أن الله موجود وتأكدي أيضا أن الأشياء كلها معتمدة عليه ، وانه ليس بمخادع وخلصت من ذلك الى القول بأن كل ما أتصوره بوضوح وتميز لابد أن يكون صحيح ..... مكتفيا بأن أتذكر أني أدركته بوضوح وتميز ، ولا أجد عند المعارضين دليلا واضحا يجعلني أشك في صحته ، وبناءا على هذا يكون لدي عنه علم صحيح و يقيني وهذا العلم نفسه يمتد كذلك الى سائر الاشياء التي أتذكر أنه قد سبق لي البرهان عليها . كحقائق الهندسة وما شابهها .... "**[2].

والواقع أن هذا الدليل النفسي الذي يستند الى الله لإثبات صحته وصدقه ليس بالدليل على الإطلاق في إعتقاد البعض ، لأن هناك إعتراضات على هذا الدليل ويتمثل في أن الدليل

1- رينيه ديكارت مبادئ الفلسفة , ترجمة الدكتور محمد الامين , مكتبة النهضة المصرية 1960 صفحة
2- رينيه ديكارت ، تأملات في الفلسفة الاولى ، ترجمة دكتور كمال الحاج ، الطبعة الرابعة ، منشورات عويدات ، بيروت 1988 ، صفحة 220

ليس دليلا بالمعنى الدقيق وإنما مصادرة ، أي تسليما طبيعيا بوجود العالم والبرهان عليه . فلو كان وجود العالم ميلا لكان شيئا بديهيا ولكن بداهة الوجود تهدمها واقعة أساسية وهو أن أكثر المفكرين خاصة الفلاسفة المثاليون قد شككوا في وجود هذا العالم

الدليل الثاني : دليل الإدراك الحسي

مؤداه أن فينا حواس خمسة ، وظيفتها أن تساعدنا نحن البشر على إدراك الأشياء الخارجية ولكن الحواس حين تدرك شيئا ماديا ، إنما تستقبل ما هو موجود ولا تخلق شيئا [1]. لأن لدينا في أذهاننا أفكارا خارجة عن إرادتنا . عن أشياء وموجودات مختلفة . ولما كان لكل علة معلول ، ولما كنا لسنا العلة في وجود هذه الأفكار في أذهاننا لأنها موجودة لدينا ، خارجة عن إرادتنا . فمعنى ذلك أن علة وجود هذه الأفكار في أذهاننا ، هي وجود هذه الأشياء والموجودات بالفعل في العالم الخارجي [2].

يقول ديكارت في كتابه التأملات **" إن الأفكار الحسية لا تعتمد آخر الأمر على إرادتي لكن من الممكن أن توجد في نفسي قوة من شأنها أن تحدثها ، وإن لم أكن قد اكتسبت أي معرفة بها حتى الآن " [3].**

ويقول في موضع أخر من نفس الكتاب **" ولما كان الله غير مخادع ، فمن البين جدا أنه لا يرسل الي هذه الأفكار بنفسه ومباشرة ، ولا بواسطة مخلوق ، لا تكون حقيقتها منطوية فيه بالفعل ..... لقد جعل في ميلا شديدا جدا الى الاعتقاد بأن صادرة عن الأشياء الجسمانية لذا لا أرى كيف يمكن إبرائها من الخداع ، إذ كانت هذه الأفكار صادرة في الحقيقة عن شيء آخر أو كانت حادثة عن علل أخرى غير الاشياء الجسمانية وإذن نستخلص الى القول بأن الاشياء الجسمانية موجودة "[4].**

1- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، المرجع السابق ، صفحة 104
2 - د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 157- 158
3- رينيه ديكارت ، تأملات في الفلسفة الاولى ، المرجع السابق ،الصفحة 230
4 - رينيه ديكارت ، تأملات في الفلسفة الاولى ، المرجع السابق ،الصفحة 252

ـ إذا سألنا عن كيفية امتلاكنا لهذه الأفكار بدون إرادتنا فإن ديكارت يجيب على ذلك بالقول أن لدينا حواس تمدنا بأحاسيس شتى عن الموجودات التي نراها ، كما أن لدينا قوة انفعالية نتأثر بالأشياء الخارجية ونتفاعل معها لتثير فينا أفكار المحسوسات .

اما إذا تساءلنا عما إذا كانت أفكارنا التي نمتلكها في ذهننا عن العالم الخارجي تعتبر حقيقة عن ماهيته بالتمام . فأن ديكارت يجيب على ذلك : بأن معرفتنا الحسية عن العالم الخارجي ليست يقينية لأنها تقوم على وسائل خادعة ، فالحواس تثير فينا أحاسيس ليست إلا كناية عن أحاسيس مبهمة غير واضحة ، لا تطابق الواقع في شيء كأفكارنا مثلا عن الضوء والصوت واللون والطعم والرائحة والألم .... الخ

ـ وعليه فإن معرفتنا الحسية بالعالم الخارجي ، هي معرفة غير صحيحة والمعرفة الصحيحة هي المعرفة المتأتية عن طريق العقل فقط . فإذا نظرنا بعين العقل الى العالم الخارجي . فإننا نصل الى حقيقة أولية وواضحة ومتميزة ودائمة ، وهي أن العالم الخارجي يتصف بصفة الامتداد الذي يعرفه ديكارت بأنه مادة قابلة للقسمة والتشكيل ، وهو كناية عن فكرة نمتلكها في أذهاننا تتميز بصدقها لأن مصدرها الله الذي يعتبر عند ديكارت الضامن لكل حقيقة ولصحة أفكارنا وفي كل ماهو موجود [1] .

وهذا ما إستنتجناه في مثال شمعة العسل الذي ذكرناه سابقا حيث يرى ديكارت أن ماهية الشمعة ليست هي تلك الرائحة أو اللون أو الصلابة ، ولا ذاك الشكل ، وأن الحواس لا تدركها في جوهرها بل تدرك فقط ظواهرها والذهن وحده القادر على إدراك جوهر قطعة الشمع . وهذا الشيء الذي يدركه الذهن بوضوح وتمييز هو امتدادها فهو الصفة الأساسية الأولى لقطعة الشمعة ، وهو جوهر الجسم أما اللون والأشكال والصوت .... فهي متغيرة ثانوية .

1 ـ د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 158- 159

وعلى هذا نقول أنه حتى الموضوع البسيط كقطعة شمع العسل ، يعرف بالنفس لا الحواس[1].

وهذا يؤدي بنا الى مقولة حاسمة مفادها ن أن معرفتنا لماهية العالم الخارجي متعذرة عن طريق الحواس ، لأن كل ما نعرفه عن طريق الحواس لا يتعدى الظواهر ، أما المعرفة الصحيحة له فهي معرفة العقل الذي يملك عنه أفكارا محدودة وواضحة كفكرة الامتداد . اما إذا تساءلنا عن مدى صدق هذه الأفكار التي لدينا عن العالم الخارجي فجواب ديكارت التقليدي على ذلك ، هو أن الله هو ضامن صدق هذه الأفكار لأنه هو مصدرها [2].

3- خصائص العالم الخارجي :

- يحدثنا ديكارت أننا نستطيع أن نرد خصائصه الى أصلين أو فكرتين وهما الامتداد والحركة ، أي أن الكون يتكون من عنصريين متميزين أحدهما هو الامتداد طولا وعرضا وعمقا والثاني هو الحركة فلا يمكن أن نتصور فكرة الامتداد دون حركة ويمكن طرحهما كالآتي :

أولا: الامتداد

هو الخاصية الأولى والصفة الأساسية ، للوجود المادي وإذا كان الأمر كذلك ، فإن العالم يصبح غير محدود أو غير متناهي من حيث الامتداد . أي أن هذه المادة الهندسية غير متناهية المقدار من حيث أنه يستحيل وضع حد للامتداد ، وديكارت يعول هنا على الامتداد المتخيل لا الامتداد المعقول ، فإن المخيلة لا تقف عند الحد في تخيلها . إذا إنها لا تتخيل إلا المحسوس . أما العقل فيستطيع الحكم بوجوب الحد متى علم أن المادة موجودة بالفعل ، متشكلة بالضرورة ومن ثم محدودة بالضرورة ، وهي المادة الهندسية منقسمة الى أجزاء غير متناهية ، فليس هناك جواهر فريدة أو أجزاء لا تتجزأ ، من حيث أن كل امتداد مهما

1- فريد ريك لويس ، الدروس الاولى في الفلسفة ، ترجمة علي أبو ملحم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت (لبنان) 2009 ص 25

2- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 158- 159

صغر قابل للقسمة الى جزئين وهكذا الى غير نهاية ، وهذه المادة الهندسية ملاء لا يتخلله خلاء لأن الخلاء امتداد والامتداد مادة [1].

ونشير أيضا أن فكرة الامتداد عند ديكارت هي فكرة فطرية ، أي أن ندرك أن كل جسم لابد أن يوجد في مكان ما محدد ، وأن تكون له أبعاد محددة في نفس المكان . والحس هو طريقنا الى ذلك ، لكن ديكارت يجعل الامتداد فكرة فطرية نتيجة لمذهبه في المعرفة . فهو يتصور الجسم المادي كما يتصوره رجال الهندسة ، أي أنه حقيقة في ذاته وليس في صفاته و أنما باعتبار أن له طول وعرض وارتفاع وكم ومقدار يمكن قياسه وليس مجموعة من الصفات الحسية كاللون والطعم والرائحة وغيرها [2]

وهذا ما شاهدناه ايضا في مثال شمعة العسل الذي نعتمده دائما في تبرير حجة ديكارت . حيث يرى ديكارت أن الشمعة باقية حتى وإن احترقت وغابت عن الحواس ، فهي موجودة كامتداد أو كتلة باقية في كميتها وكل ما في الامر أنها انتقلت من حالة الصلابة أو السيولة الى الحالة الغازية وانتشر الغاز في الهواء لكنه لم ينعدم . وستكون هذه الفكرة هي نواة القانون القانون الفيزيائي الذي قال به إسحاق نيوتن بعد ذلك وهو قانون البقاء أو حفظ المادة [3].

ونضيف قائلين أن الخاصية الثانية هي :

ثانيا : الحركة

حيث لا يمكننا أن تنصور جسم ممتد دون حركة وتغير . إذ يرى ديكارت أن جميع أحوال المادة وظواهرها ترجع في نظر ديكارت الى الحركة وأن الطبيعة المادية ليست سوى سلسلة من الحركات ، وهذا ما عبر عنه ديكارت في قوله **" أعطني امتدادا وحركة أصنع لك العالم "** ، وبما أن العالم كله ملاء ، فحركات الأجسام فيه كلها أشبه بما تكون بالحلقات الدائرية المقفلة ، لأن الجسم لكي يتمكن من التحرك والانتقال من مكان الى آخر لابد أن يدفع الجسم الذي امامه وهكذا . بحيث تنتهي الحركة الى نقطة البداية التي انطلقت منها وهذا معناه أن كمية الحركة في الكون ثابتة وقد خلق الله المادة بهذه الحركة التي كميتها ثابتة .

1- د يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، كلمات عربية للطباعة والنشر ،القاهرة(مصر)، صفحة 86
2- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، المرجع السابق ، صفحة 105
3- د على عبد المعطي ، تيارات الفلسفة الحديثة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية (مصر) 1984 صفحة 83

وعليه فبعدما جرد ديكارت المادة من كل صفاتها ، ولم تبقى لها إلا صفة الامتداد والحركة بل أن ديكارت جعل منهما الشيئان الوحيدان الذي يتألف منهما علم الطبيعة . ومن هاتين الخاصيتين يمكن استخلاص القوانين الطبيعية وهي كالآتي :

1- كل جسم متحرك يستمر في حركته على وتيرة واحدة .

2- كل جسم متحرك يستمر في حركته ما دام لم يعرض له شيء يمكن أن يغير من حركته . واتجاهه (قانون القصور الذاتي عن غاليلو) .

3- كل جسم متحرك يلتقي بجسم آخر متحرك بحركة أشد منه لا يفقد شيئا من حركته الخاصة به .

4- كل جسم متحرك يلتقي بجسم آخر متحرك بحركة أضعف منه ، يفقد من الحركة الخاصة به ويوازي ما أخذه منه الجسم الآخر .

وهذه النظرية التي تقوم على الامتداد والحركة تناقض نظرية أرسطو الطبيعية ، فأرسطو كان أن كل جسم في العالم الطبيعي عبارة عن جوهر مستقل مؤلف من عنصرين ن العنصر الأول وهو الهيولى أو المادة وهي الحاملة للصورة ، والعنصر الثاني هو الصورة وهي التي تحدد طبيعة الشيء أو الجوهر وهي المحمولة على المادة .

أما ديكارت فإن فضلا عن قوله بوجود جوهرين في الوجود ن الجوهر المادي من جهة والجوهر النفسي من جهة أخرى ، فإنه ينفي فكرة الصورة الأرسطية ويرجع الى الحركة فقط التي تناقض كل ما يطرأ على المادة من تغيرات أو تأخذه من أشكال . فالعالم الطبيعي عنده ، كناية عن سلسلة من حركات المتعاقبة على المادة ن لا أكثر ولا أقل . فالصوت مثلا ليس له وجود مستقل عن نفوسنا [1].

4 ـ مذهب ديكارت في العالم المادي :

ـ يفسر ديكارت العالم المادي تفسيرا آليا ، أي أن كل شيء في العالم تحكمه قوانين علم الطبيعة دون تدخل أي قوة غير طبيعية ، وليس معنى ذلك أن ديكارت حرم الله تعالى من

1- د مهدي فضل الله ، ديكارت ومنهجه ،المرجع السابق ، صفحة 162- 163 (بتصرف)

التدخل في العالم . بل يعتقد أن الله خلق الكون بقوانين ثابتة منذ القدم وثباتها مستمد من ثبات الله تعالى ، ولما كان هذا الخالق ثابتا لا يتغير كانت كمية الحركة في العالم ثابتة . يرى ديكارت أنه إذا ما اكتشفنا قوانين الطبيعة وقوانين الحركة فقد أمكننا أن نفسر شيئا في العالم الطبيعي . وعليه فإن الأجسام العضوية كذلك خاضعة لقوانين الطبيعة ، فالنبات لم تعد في حاجة عند ديكارت لنفوس أرسطو . وكذلك اعتقد ديكارت أن الحيوان آلة لا شعور له ولا وجدان وإنما هو كائن ممتد لا يفكر ولا يتكلم ، فالحيوان كأي آلة شيء مصنوع من وجود فارق ن ألا وهو أنه أكثر تعقيدا وأكمل صنعا بحيث لو عرفنا كل شيء عن قوانين الطبيعة لعرفنا كل شيء عن سلوك الحيوان [1].

ـ لقد توصل ديكارت الى أفكاره هذه بعد أن أعاد هارفى اكتشاف الدورة الدموية عام 1628 التي قد اكتشفها من قبل العالم العربي المسلم ابن نفيس . وتبين منها ديكارت أن الدم لا يجري في الجسم بقوة خارجة عن البدن بل انقباض القلب هو الذي يدفعه ، فديكارت يعتقد أن قوانين الحركة تتطبق أيضا على الجسم الحي وأن الأعصاب " الارواح الحيوانية " هي أجسام دقيقة من الدم سريعة الحركة ، حين تتحرك تفسر جميع الأفعال الجسمية مثل حركاتنا اللاإرادية وتحريك أعضاء البدن [2] .

ويضيف ديكارت أن الجسم لا يتحرك بذاته بل يستطيع أن يحرك ذاته ، فلا مفر إذا إلا العودة الى الله تعالى بتفسير حركة الاجسام حيث يرى أن الله هو العلة الأولى للحركة في العالم واعطى للكون كمية معينة من الحركة .

وخلاصة هذا القول نصل الى نتيجتين عن العالم الطبيعي في الفلسفة ديكارت :

1ـ كل شيء في الطبيعة خاضع لمبدأ الجبرية المطلقة .

1ـ د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، المرجع السابق ، صفحة 107

2ـ د يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، المرجع السابق ، صفحة 86

2- كل شيء في العالم إنما هو آلة لا إرادة فيها ، عدا الانسان لأنه لا يتألف من عنصرين من طبيعتين مختلفتين أي الامتداد (للجسم) والفكر (للعقل) [1].

وكخلاصة لهذا الفصل نقول أن ديكارت لم ينتهي من كافة نتائج الكوجيتو "أنا افكر" أو الأحرى أمن الدوبيتو "انا أشك" فقد رأينا سلسلة من النتائج تبدأ من الشك وتسير الى الفكر والى وجودي بوصفه شيء مفكر الى سلسلة أخرى من النتائج فمن خلال الدوبيتو أنا أشك اكتشف ديكارت حقيقة ثابتة ، وهو أنه كائن ناقص . إذن فإن لديه فكرة عن الكمال الذي اعتبره ديكارت دليل على وجود الله الذي يلحظه ديكارت أحيانا بطريقة خاطفة على هذا النحو " أنا أشك ، إذن أنا ناقص وعلى هذا الاساس تكونت لدي فكرة الكمال ، و ليس هناك أكمل من الله ، إذن فالله موجود .

ومما سبق ذكره نستنتج أن الله ضروري بالنسبة لديكارت ، ولما كانت لدينا براهين على وجود الله استطعنا أن نِؤسس معرفتنا بالعالم الخارجي ، فلما كان الله لا يمكن أن يخدعنا فإن العالم الخارجي موجود ومع ذلك يجب أن نرده شيئا فشيئا الى فكرتي الامتداد والحركة الواضحتين .

1- د إبراهيم مصطفى إبراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، المرجع السابق ، صفحة 108

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير نستنتج مما سبق عرضه أن غاية الفلسفة عند ديكارت هي دراسة الحكمة التي هي علم واحد كلي ، أي تفسير شامل للكون أو نظام شامل للعالم . فهي لا تعني أي معارف جزئية خاصة وإنما تعني علم المبادئ العامة أو الحكمة الكلية التي تشمل العلم الخاص بالله والعلم المتعلق بالطبيعة وعلم الإنسان ، وأسس هذه العلوم وسندها الأول عند ديكارت هو علمها بوجود الله الذي يضمن كل حقيقة وكل علم .

تسعى الفلسفة عند ديكارت الى البحث عن المبادئ أو العلل الأولى ، وعنده لا تنطق لفظة مبدأ أو علة على أي كلمة كانت إنما لابد من توافر شرطين لهذه العلل أو المبادئ ، حتى يتسنى للإنسان أن يتفلسف بصحة بصحة ويقين وأولى هذين الشرطين تتمثل في أن تكون هذه المبادئ واضحة وبديهية ، ولا يمكن الشك فيها حين نتأملها وننظر فيها . أما الشرط الثاني ، فيستند الى معرفة سائر الأشياء بحيث لا تحدث تلك المعرفة دون الرجوع الى الأشياء التي تعرف بها وتستند في معرفتها إليها .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الشروط أن الفلسفة كما يتصورها " ديكارت " فكر يتميز بالوضوح والجلاء ويعتمد على منهج الإستنباط الذي قوم على ربط المعاني ، وهي الحكمة لأنها تسعى دائما للبحث عن طريق العلل الأولى ، ومن ثم فإنها مصدر نفع عملي ونظري للإنسان .

رأينا في الفصول المعروضة كيف اصطنع ديكارت منهجه الشكي لكي يصل الى اليقين الذي يمكنه من إقامة دعائم العلم ، فبدأ بالشك في المعروضات الحسية ، وفي المعارف والمبادئ الموروثة بغرض إعادة النظر فيها ومحاولة تصحيحها وبناءها من جديد ، ومما سبق ذكره نستنتج أن شك ديكارت لا يشبه شك الشكاكين الذي ينتهي الى الريبية المطلقة واليأس الكامل ن إنه نوع آخر يشع فيه الروح البينة ويسعى الى بلوغ اليقين . الى ان وصل الى حقيقة فكره الثابت القائم مهما شك ومهما أخطأ ، لأن الفيلسوف إذا شك في أنه يفكر فلا

يستطيع إنكار كونه مفكر حين يشك وحتى في حالة الخطأ ، لأن الإنسان يكون في حالة التفكير أيضا . ومن هنا إستخلص ديكارت مقولته الشهيرة **" أنا أفكر إذن أنا موجود "**والتي تمثل الميتافيزيقا الحقة التي ستؤدي به الى سلسلة من النتائج ، والجدير بالذكر أن ما يميز ديكارت هو أسلوبه في طرح الأفكار حيث يؤدي التفكير في كل اكتشاف الي حقيقة جديدة ومن الحقائق التي أثارها بعد عرضه للكوجيتو إستنتج سلسلة بديعية لعلها أبرزها :

أولها : أن الإنسان يفكر وانه موجود من حيث أنه يفكر لكن قد يفهم من عبارة "أنا أفكر إذن أنا موجود " أن وجودي ثمرة من ثمرات التفكير وبهذا يكون الإنسان موجودا مفكر فحسب وأن وجودي ينحصر في مجرد تفكير وهذا ما لم يقصده ديكارت وإنما يقصد بهكل العمليات العقلية التي يمكن للإنسان ممارستها " فأنا أفكر " تعني عند ديكارت أنا أحس ، أنا أدرك ، أنا أنفي ، أنا أرغب ، أنا أشك ، أنا اعتقد ونحو ذلك .

ثانيا : تتضمن قضية الكوجيتو نظرية الثنائية بين العقل والجسد ، أي أنه يرى أن الإنسان مركب من عنصرين منفصلين كل الإنفصال ، العقل ماهيته الفكر والجسم ماهيته الإمتداد ولا توجد خاصية لأخذها على الأخر .

ثالثا : أن الإنسان كائن موجود وفي نفسه فكرة الكائن الكامل إنطلاقا من كونه ناقصا ، وعلى هذا الأساس أقام الفيلسوف أدلة ثلاثة مضمونها أن الله هو الكائن الكامل المتصف بجميع الكمالات والضامن لصدق أفكارنا الواضحة .

رابعا : بعد ما توصل الي اليقين التام وبأنه موجود يفكر ، وبعد أن أثبت وجود الله ورأى أن الله هو ضامن صدق لكل الحقائق خلص الى التسليم بوجود العالم الخارجي .

وعلى هذا النحو نستنتج أن عبارة " الكوجيتو" قد نفهم من خلالها ومن خلال النتائج التي توصلت إليها وجود شيء من الإستدلال على اعتبار أن الإنسان يستطيع عن طريق الفكر أن يستدل على الوجود والعكس ... وهذا ما يميز الفلسفة الفرنسية التي أنجبت العقل الذي

خاتمة

حدد مجرى المحاولات الميتافيزيقية العظيمة في القرن 17 ن ذلك العقل الذي أطلق عليه بأبي المثالية الحديثة ديكارت رائد الأفكار الواضحة والجلية . وما قلناه يكفي لكي نفهم كيف استخلص ديكارت من عبارة " أنا أفكر إذن أنا موجود " نظريته الحقيقية والتي مؤداها أن الحقيقة صفة لكل فكرة واضحة وجلية .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر

1- رينيه ديكارت ، مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمد الخضيري ، الطبعة3 ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة(مصر) 1985

2- رينيه ديكارت ، تأملات في الفلسفة الاولى ، ترجمة دكتور كمال الحاج ، الطبعة الرابعة منشورات عويدات ، بيروت 1988

3- رينيه ديكارت مبادئ الفلسفة ، ترجمة الدكتور محمد الامين، مكتبة النهضة المصرية ، 1960

- رينيه ديكارت ، إنفعالات النفس، ترجمة جورج زيتوني الطبعة 1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع بيروت (لبنان) 1993

5- رينيه ديكارت: قواعد لهداية العقل، تر: سفيان سعدالله ، دار سراس للنشر، تونس، 2001م

6- رينيه ديكارت: حديث الطريقة، تر: عنر الشارني ، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة بيروت2008

7- رينيه ديكارت ، العالم أو كتاب النور ، ترجمة إميل خوري ، ط 1 دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت (لبنان) 1999

ثانيا : المراجع

1- إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة 1983

2- ابراهيم مصطفى إبراهيم: الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001

3- اميل برييه ، تاريخ الفلسفة في القرن السابع عشر ، ترجمة جورج الطرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت (لبنان) .

الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، ديكارت رائد الفلسفة في العصر الحديث ، الطبعة1، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان)، 1993

5 ـ برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة محمد فتحي الشنيطي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977

6 ـ توم سوريل ، ديكارت مقدمة قصيرة جدا ، الطبعة 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة (مصر) ، 2014

7- جان كال ، الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر ، ترجمة فؤاد كمال ، فؤاد زكريا ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

8 ـ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1982

9 ـ جينياف روويس لويس ، ديكارت والعقلانية ، ترجمة عبده حلو ، ط 4 ، منشورات عويدات ، بيروت (باريس) ، 1988

11 ـ ديف روبنسون كريس جارات ، ديكارت ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة العامة لشتون المطابع الاميرية ، 2001 د مهدي فضل الله ، ديكات ومنهجه الطبعة3 ، دار الطليعة ، بيروت (لبنان) 1996

12 ـ د أمل مبروك ، الفلسفة الحديثة ، مؤسسة ديمو برس للطباعة والنشر ، بيروت (لبنان)، 2011

13 ـ د راوية عبد المنعم عباس ، ديكارت أو الفلسفة العقلية دار المعارف الجامعي ، الاسكندرية ، (مصر) ، 1989

14ـ د زكي نجيب محمود ، د أحمد امين ، قصة الفلسفة الحديثة ، مؤسسة الهنداوي ، 1936 .

15 ـ د عبد الوهاب جعفر، أضواء على الفلسفة الديكارتية ، دار الفتح للطباعة والنشر،1995

16 ـ د عثمان أمين ، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف ، الاسكندرية (مصر) ،1967

17 ـ د مصطفى غالب ، ديكارت في سبيل الموسوعة الفلسفية ، دار مكتبة الهلال ، بيروت (لبنان) 1989

18 ـ د نجيب بلدي ، ديكارت ، الطبعة 2، دار المعارف بمصر ، القاهرة (مصر) ، 1968

19 ـ د يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، كلمات عربية للطباعة والنشر ،القاهرة(مصر)

20 ـ د جلال الدين سعد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004

21 ـ علي عبد الله المعطي ، تيارات فلسفية حديثة ، دار المعارف الجامعية الاسكندرية ، 1995 .

22- فريد ريك لويس ، الدروس الاولى في الفلسفة ، ترجمة علي أبو ملحم ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت (لبنان) 2009

23 ـ نظمي لوقا ، الله أساس المعرفة والاخلاق عند ديكارت ، المطبعة الفلسفية الحديثة ، القاهرة (مصر) 2003

24- ويلم رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود سيد أحمد ، ط1 دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت(لبنان)

ثالثا : (رسائل جامعية ـ المجلات ـ المقالات)

1- السايح بن عيسى صباح ، مكانة الديكارتية في الفينولوجيا الهوسرلية ، مذكرة لنيل شهادة ماستر اكاديمي ، إشراف زغيمي ،تخصص تاريخ الفلسفة ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2017 - 2018

2- شرفة وحيدة ، قواعد المنهج عند ديكارت ، مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي تخصص فلسفة إجتماعية ، جامعة قالمة 08 ماي 1945

3 ـ مزاري مصطفى ، الشك بين الغزالي وديكارت ، مذكرة لنيل شهادة ماستر اكاديمي ، إشراف د علية صفية ، تخصص فلسفة عامة ، جامعة محمد خيضر بسكرة 2018 - 2019

مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الدراسات والأبحاث والميتافيزيقا الجديدة عند ديكارت 07 - 03- 2022

5 ـ مقال للأستاذ زكي نجيب محمود ، مجلة الرسالة العدد 25 فلسفة ديكارت ، 15- 03 - 2022

6ـ مقال الدكتور عثمان حسن ، ديكارت الشكوكي المفكر ابو الفلسفة الحديثة ،

04 - 08- 2018

7 ـ موسوعة إكسفورد للفلسفة ، ترجمة على حارس ، مجلة الحكمة ، رينيه ديكارت

فهرس المصطلحات

المصطلح	تعريفه
La الفلسفة المدرسية Scolastique:	هي التعليم المدرسي الذي نشأ ونمى في المدارس والجامعات الأوروبية بين القرن 19 و17م ومن أهم ما يمتاز به هذا التعليم ارتباطه بعلم اللاهوت ، ورفضه التشكيك في العقيدة الدينية وتفريقه بين الوعي والقول واعتماده في البحث طرق القياس البرهاني وتفسير النصوص القديمة ولاسيما نصوص ارسطو .[1]
الشك : doute	حالة نفسية يتردد معها الزمان بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم وذلك بالجهل بظروف الموضوع جوانبه ، أو العجز عن التحليل والبحث في الموضوع [2]. [2] .
الشك المنهجي : doute methodique:	مرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصا تاما بحيث لا يقبل منها إلا ما ثبت يقينه ، ومن ابرز من قال بها الغزالي وديكارت، فعلى الباحث ان يحرر نفسه من الأفكار الخاطئة بالشك ، وأن يتروى فيما يعرض له ، فلا يتسرع في الحكم ن ولايقبل إلا ما يثبت للعقل ببداهة .[3]
اليقين: Certitude:	اليقين نقيض الشك، وهو الإعتقاد الحازم المطابق الثابت الذي لا يزول بتشكيك المشكك، وهو حالة ذهنية تقوم على إطمئنان النفس الى شيء مع الإعتقاد أنه كذا .[4]
الكوجيتو: le cogito	كوجيتو لفظ التيني معناه افكر شبيه الى قول ديكارت، انا افكر اذا انا موجود، ومعنى هذا القول اثبات وجود النفس من حيث هي موجود مفكر، الإستدلال على وجودها بفعلها، الذي هو الفكر. وقد قيل ان الكوجيتو ليس استدلال حقيقي وانما هو حبس يكشف عن الحقيقة أولية لايتطرق إليها الشك. [5]

1 ـ جلال الدين سعد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004، صفحة 118
2- إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة 1983 ، صفحة 103
3- إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، صفحة 103
4- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1982 ، صفحة 588
5 ـ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، صفحة 249

البداهة : **Evidenc**	وضوح الأفكار و القضايا بحيث تفرض من نفسها على الزمن . **بوجه عام:** الجمع بين عناصر متفرقة ومحاولة التأليف[1]
الديكارتية : **Cartésianisme :**	مذهب عقلي مثالي يقوم على التقابل التام بين المادة والروح وربط الوجود بالتفكير، يرى في الوضوح أساس اليقين، ويحاول ان يفسر العالم تفسيرا رياضيا عقليا فوضع دعائم الفلسفة الحديثة التي عارضت الفلسفة أرسطو، وهدمت الفلسفة المدرسية واقامت العقيدة الدينية على أساس ميتافيزيقي.[2]
الثنائية الديكارتية	مذهب فكري يقسم كل شيء بطريقة او بأخرى الى مقولتين او عنصرين، ومصطلح ثنائية تم إدخاله منذ حوالي 1700م ، ليستوعب تلك الألفكار الالهوتية، وهو تقسيم ديكارت للعالم الى "جوهر ممتد (مادة) ودواهر مفكرة(عقول) ويسمى هذا النوع من الثنائيات ثنائية الصفات[3].
اللاأدرية	هي حالة بين الإيمان والإلحاد فالاأدرية لا تؤمن بوجود إله وفي نفس الوقت لا تنفي وجوده ، كما الا أدرية لا تؤمن بالأديان ولا تتدين بأي دين ، لكن بالرغم من ذلك لا يمكن اعتباره ملحدا لأنه لا ينفي وجود إله ، ولا يمكن اعتباره مؤمننا أيضا ن لأنه لا يجزم بوجود إليه .

1 ـ إبراهيم مذكور ، المرجع السابق ، صفحة 4
2 ـ إبراهيم مذكور ، المرجع السابق ، صفحة 58
3 ـفؤاد كامل واخرون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، المرجع السابق، ص1 16

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات	
الموضوعات	الصفحة
مقدمة	**أ-د**
الفصل الاول : ديكارت أطوار حياته الفكرية والعملية	
المبحث الاول : حياته الفكرية	06
1- حياته ونشأته	06
2- مراحل حياته	11-07
المبحث الثاني : مؤلفاته وأعماله	19-12
الفصل الثاني : الطريق الى الأنا المفكر	
المبحث الثاني : الشك كأساس لاكتشاف الأنا المفكر	22
1- الحاجة الى المنهج كأول خطوت في فلسفة ديكارت	23-22
2- الرياضيات ودورها في تأسيس المنهج عند ديكارت	25-23
3- أسس وقواعد المنهج الديكارتي	28-25
4- طبيعة الشك عند ديكارت	37-28
المبحث الثاني : طبيعة الأنا الفكر	38
1- الكوجيتو كأول مراتب اليقين	42-38
2- التمييز بين الأنا الفكر والأنا الممتد	47-42
الفصل الثالث: نتائج إكتشاف الأنا المفكر	
المبحث الأول : من الأنا المفكر الى الله	50
1-الله كأول إكتشاف بعد الأنا	52-50

فهرس المحتويات

2- الرجوع الضروري الى الله كجوهر ماهيته الكمال المطلق	53-52
3- النور الفطري كسبيل لمعرفة الله	55-54
4 ـ منهج ديكارت في إثبات وجود الله	56
5- أدلة ديكارت على وجود الله	62-56
المبحث الثاني : من الله الى العالم	63
1- العالم الخارجي كثاني إكتشاف بعد الأنا	63
2- أدلة وجود العالم الخارجي	67-64
3- خصائص العالم الخارجي	69-67
4 ـ مذهب ديكارت في العالم الخارجي	71-69
خاتمة	75-73
قائمة المصادر والمراجع	81-77
فهرس المصطلحات	84-83
فهرس المحتويات	87-86

ملخص

يلخص موضوع المذكرة حول فلسفة ديكارت ، تحديدا في مبدئه الميتافيزيقي الأول الذي نقل فيه الفكر الفسفي الى طور آخر ، إنطلاقا من إستبداله للناهج القديمة والعقيمة بمنهج جديد يمثل الخطوة الأولى نحو الحداثة ، ولقد تبين لنا ما سبق اسهام الرياضيات في تأسيس المنهج الديكارتي يقوم على أساس الوضوح والتمييز ويمكن القول أن فلسفة ديكارت الماورائية ، هدفها الوصول الى حقيقة تتميز باليقين ولكن لا توجد سوى وسيلة وحيدة ممكنة للنجاح في ذلك ، وهو إخضاعها للشك المنهجي ، وقد بحث ديكارت على مبدأ عقلي لا يكون موضع للشك ليقيم عليه فلسفته ، وهذا الموقف الذي اتخذه ديكارت ، جعله يفترض أن جميع الاشياء التي يراها باطلة ، ووجد أنه من الممكن فطريا الشك في شهادة حواسه وذاكرته وأفكاره ووجود العالم الخارجي وحتى في صدق الرياضيات ، وليس الشك هنا مقصودا لذاته بل لامتحان قوانا العارفة ، أي أن مقصده الأسمى هو البحث عن قاعدة أمينة يقيم عليها صرح العلم ، وهذا ما أوجده ديكارت من خلال طرحه لقضية " أنا أفكر إذن أنا موجود " هذه القضية أو العبارة إنما ينبثق منها لحظة اكتشاف الإنسان لوجوده في حالة التفكير ، كما تعتبر هذه القضية هي لب نظرية ديكارت في المعرفة ، وبعد أن أثبت ديكارت وجوده كذات مفكرة إنطلق في إثبات موجودات أخرى ، بداية مع وجود الله كضامن أساسي لكل حقيقة ولكل علم واعتبره منبعا لليقين ن ولما كان الله هو ضامن صدق لكل معارفنا أصبح من الميسور له أن يؤسس معرفته بالعالم الخارجي .